# التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 177 السنة العشرون - أغسطس 2022


# ستبقى ذكراك حيّة في النفوس

## وفاءً لسلمان زيمان

## أمسية للأمل والحياة

موقفنا

## الخليج والعالم متعدد الأقطاب

أتى الرئيس الأمريكي جو بايدن المنطقة، ليلتقي زعمائها، في مسعى منه لتحشيد دولنا في الحلف الذي تسعى عواصم الغرب، وفي مقدمتها واشنطن، لإقامته ضد روسيا، بغية عزلها دولياً، ناهيك عن ممارسة الضغوط على دول المنطقة لزيادة امدادات مصادر الطاقة، من نفط وغاز، بغية تعويض النقص الذي تعاني منه الدول الأوروبية خاصة، جراء العقوبات التي فرضتها على روسيا، فضلاً عن رغبته في توسيع دائرة التطبيع العربي مع العدو الصهيوني التي بدأها سلفه ترامب، والمرفوضة شعبياً.

ما نشر من تفاصيل حول الرسائل التي سمعها بايدن والوفد المرافق له من دول الخليج، تشير إلى أنها ترى أن تستمر علاقات التعاون بينها والولايات المتحدة، ولكن على قاعدة المصالح المشتركة للطرفين، لا مصلحة طرف دون آخر، وأن تكون هذه العلاقات موجهة نحو ما يحقق الأمن والاستقرار في المنطقة والعالم، وبمراعاة ما شهده ويشهده العالم من متغيرات حاسمة.

إن نظام الأحادية القطبية الذي قام عليه العالم هو إلى انتهاء. وحدهم المكابرون من يغفلون حقيقة أن نظاماً دولياً جديداً متعدد الأقطاب آخذ في التشكّل، بل لعله قد تشكّل بالفعل، ومن مصلحة دول الخليج أن تقيم علاقات متوازنة مع كافة الأطراف الوازنة في النظام الدولي الجديد، فدول المنطقة بما هي عليه من موقع جيو- سياسي مهم وما تملكه من ثروات وإمكانيات، وما حققته من انجازات في بناها التحتية وفي اقتصاداتها مؤهلة لأن تفعل ذلك، ومن موقع مستقل، يعود عليها وعلى شعوبها بالمنفعة، ويضاعف من تأثيرها الدولي.

على دولنا أن توصل للأمريكان وحلفائهم الغربيين، وبالمزيد من الوضوح، وبخطوات عملية رسالة مفادها أن عليها مغادرة النظرة المتوارثة عن كون هذا الخليج تابعاً لها في سياساتها، وذلك من خلال حرص دولنا على تطوير أوجه التعاون متعدد الأوجه مع كافة الأطراف الدولية المؤثرة، لا مع أمريكا والدول الأوربية وحدها، وإنما أيضاً مع الصين وروسيا والهند وسواها من القوى الصاعدة، وترسيخ سياسة الحياد في الصراعات الدولية.

وهذا ما رسم نهجها تجاه النزاع الروسي - الأوكراني، فنأت بنفسها عن العقوبات الغربية على روسيا، كما أن دول الخليج طرف أساسي ومؤثر في منظمتي «أوبك» و«أوبك بلاس»، وملتزمة بقرارتهما، وليس مطلوباً منها أن تعوض عن النفط والغاز الروسيين، وبذلك ستؤكد دول المنطقة أنها تأخذ بعين الاعتبار، وهي تصوغ سياساتها، المتغيرات والتحولات في عالم اليوم، ومصالحها الوطنية العليا.

التقدمي

## الجمعيات السياسية:

# تبـــريـــرات تســـويـــق التطبيـــع مـــرفـــوضـــة شعبيـــاً

طالبت الجمعيات السياسية (المنبر التقدمي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، التجمع القومي الديمقراطي، تجمع الوحدة الوطنية، الوسط العربي الإسلامي، الصف الإسلامي، والتجمع الوطني الدستوري) القيادات السياسية الرسمية بالإلتفات للجرائم التي يمارسها الكيان الصهيوني بشكل يومي من سياسة الترهيب والتنكيل والقتل والتهويد ضد الشعب الفلسطيني الشقيق منذ أكثر من أربع وسبعين عامًا، ولا يلتزم بالقرارات الدولية الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة، وأن يبني مواقفه وقراراته مع الكيان المحتل في مواجهتها على أساسها.

واعتبرت الجمعيات السياسية في بيان لها بأن: «كافة التبريرات التي تسوقها دول الخليج لتبرير التطبيع مرفوضة لشعوب المنطقة ولا تسوغ الحق لحكوماتها تجاوز آلام الشعب الفلسطيني الذي نعتبره جزء من آلامنا وآلام الأمة العربية والإسلامية»، وأدان البيان:» استمرار التطبيع وتفعيله بأحلاف عسكرية تحت أي تبريرات كانت».

وقال البيان بأن: «الترجمة الحقيقية التي يمكن قراءتها وراء زيارة الرئيس الأمريكي للمنطقة هي تكريس الواقع الموجود وتبرير هذا الكيان المحتل على الاستمرار في ممارساته العدوانية والعنصرية ضد الشعب الفلسطيني الشقيق، ليس فقط على أبناء الشعب الفلسطيني بل طالت مقدساته الدينية بالمسجد الأقصى، إضافة إلى سياسة التهويد للأراضي الفلسطينية بالمصادرة والاستيلاء عليها وهدم البيوت الآمنة على أصحابها».

وشدد البيان على أنه: «آن الأوان للقيادات السياسية في الخليج العربي أن تبني قراراتها ومواقفها السياسية والاقتصادية الدولية انطلاقًا من مصلحة شعوبها أولاً وقبل أي شيء»، وتابع: «إن مصالح شعوب المنطقة من الحرب الروسية الأوكرانية متمثلة باتخاذ موقف محايد من الصراع القائم والدعوة لحل سلمي يراعي مصالح كافة الأطراف»، ودعت الجمعيات إلى: «استثمار ارتفاع سعر النفط والغاز لسد احتياجات شعوب المنطقة وتغطية عجوزاتها في الميزانية وسداد ديونها المالية، بدلاً من الانفاق العسكري والأمني على حساب شعوب دولنا في الخليج العربي».

ورفض البيان تأسيس أي حلف عسكري أو أمني يكون الكيان المحتل طرف فيه تحت أي تسمية كان، مطالباً بالنأي ببلدان المنطقة وشعوبها بعيدًا عن التسلح والعسكرة والصراعات الإقليمية، والتأكيد على سياسة احترام السيادة الوطنية المستقلة. كما رفضت الجمعيات تدخل القوى الإقليمية والدولية أي كانت في شؤونها الداخلية، كما شددت على رفضها لسياسة التطبيع مع العدو الصهيوني والوقوف مع نضال ومقاومة الشعب الفلسطيني الشقيق لدحر الاحتلال الصهيوني وقيام الدولة الفلسطينية الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

## الجمعيات السياسية:

# ضائقـــة معيشيـــة تثقـــل أعبـــاء الـــمواطنيـــن

قالت الجمعيات السياسية (المنبر التقدمي، التجمع القومي، التجمع الوحدوي، المنبر الوطني الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري، جمعية الصف الإسلامي، جمعية الوسط العربي، وتجمع الوحدة الوطنية)، إن الفترة الماضية شهدت ارتفاع جنوني في أسعار المواد الغذائية، حيث بلغت نسبة التضخم في أسعار هذه المواد 12٪ خلال الأشهر الخمسة الأولى من هذا العام وفقاً للإحصائيات الرسمية، بينما الشواهد على الأرض تشير إلى ارتفاع معظمها بما لا يقل عن 30٪، علاوة على انعكاس هذا الارتفاع على عدد من الخدمات الرئيسية كالمطاعم والملابس والنقل والمواصلات وغيرها.

ونوهت الجمعيات السياسية بأنها: « تستشعر مسئولياتها تجاه شعب البحرين وما يعانيه من ضائقة معيشية».

وأشار البيان إلى أن: «مضاعفة القيمة المضافة إلى 10٪ أسهمت في زيادة الأعباء المعيشية على المواطنين في الوقت الذي تم وقف الزيادة السنوية للمتقاعدين، كما تعتزم البنوك بدء استقطاع الأقساط المصرفية مع نهاية هذا الشهر»، داعياً الحكومة إلى: «إطلاق حزمة مالية لدعم المواطنين، وخاصة محدودي الدخل والمتقاعدين والأسر الفقيرة».

وأوضح البيان بأن: «كافة هذه التطورات المعيشية تلقي بأعباء كبيرة على المواطنين وخاصة في ظل تدني الرواتب والدخل وضعف شبكة الحماية الاجتماعية وتفشي البطالة، مما يهدد الحياة المعيشية لمئات الآلاف من الأسر البحرينية ويدفعها نحو هاوية الفقر».

وطالبت الجمعيات السياسية بحذو خطوات الدول الخليجية، خاصة أن إيرادات النفط من المتوقع أن تتضاعف إلى أكثر من ثلاثة مليارات دينار هذا العام، كذلك إيرادات الضريبة المضافة التي يتوقع أن تصل إلى 800 مليون دينار وهي بمجموعها سوف تسد عجز الميزانية بالكامل وتخلق فائضاً كبيراً يجب أن يستخدم جزء منه لدعم المواطنين والمتقاعدين من خلال زيادة الرواتب والاعانات الشهرية بكافة أنواعها وعلاوات السكن والأرامل والعاطلين وغيرهم.

## «التقدمي» يعزي برحيل المناضل العراقي الرفيق كريم أحمد

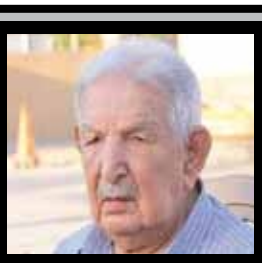

عبّر الأمين العام للمنبر التقدمي الرفيق عادل متروك، باسمه وبالنيابة عن أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية وجميع منتسبي المنبر التقدمي عن أحرّ التعازي والمواساة القلبية بوفاة المناضل الكبير والقائد الشيوعي الباسل والشخصية الوطنية البارزة العراقية والكردستانية والأممية الرفيق الكبير كريم أحمد (أبو سليم) التي كانت سيرته النضالية حافلة بالجهود المضنية بالتضحيات الكبيرة من أجل التقدم والرقي والديموقراطية، ومن أجل أن ينال الشعب العراقي والكردي حقوقهما المشروعة في الديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

جاء ذلك في رسالتي تعزية بعث بهما الأمين العام إلى الرفيقين رائد فهمي سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، و كاوه هادئ سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكردستاني، أكدّ فيهما أن سيرة الراحل حافلة بالنضال وتبوأ بجدارة مواقع قيادية في الحزبين الشيوعيين، العراقي والكردستاني، ومثالاً يحتذى به في الصمود والتحدي ومقارعة الأنظمة الدكتاتورية والرجعية، مناضلاً ثابتاً على مبادئه من أجل التحرر الوطني وبناء الديمقراطية الحقيقية التي تتسع لمواطنيه كافة بعيداً عن الظلم و الاستغلال. وعبر الأمين العام في رسالتيه أيضاً عن التعازي لأسرة الفقيد ورفاقه ومحبيه وعموم المناضلين من أجل وطن حر وشعب سعيد.

# تعازي من فلسطين ولبنان برحيل الرفيق يعقوب الجناحي

تلقى المنبر التقدمي رسائل تعزية من عدد من القوى والشخصيات الوطنية والتقدمية والقيادات النقابية من داخل البحرين وخارجها، ومن بينها رسالة تعزية من الرفيق د. أحمد مجدلاني الأمين العام لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، عبر فيها عن التعازي للتقدمي ولعموم الشعب البحريني الشقيق، برحيل الشخصية الوطنية التقدمية البارزة المناضل الرفيق يعقوب يوسف الجناحي،.

وقال الرفيق مجدلاني: «برحيل المناضل الفذ يعقوب الجناحي، فإن الحركة التقدمية العربية عمومًا، وفي البحرين خصوصًا، تخسر نموذجًا للاستقامة والنقاء الثوري، ومناضلًا صلبًا كرس جل حياته منذ نهاية خمسينيات القرن الماضي في الدفاع عن قضية شعبه وقضايا الأمة العربية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، كما ساهم بجهود كبيرة في التضامن مع القضايا العادلة لمختلف شعوب العالم.

وبدوره عبّر رئيس الاتحاد الوطني لنقابات العمال والمستخدمين في لبنان، النقابي كاسترو عبدالله عن تعازي الاتحاد بوفاة فقيدنا المناضل الكبير، قائلاً إنها خسارة كبرى لكل الأحرار والمناضلين من أجل شعوبهم ومن أجل الحرية والديمقراطية في عالمنا العربي، وختم كاسترو رسالة التعزية بالتاكيد على أن"عزاؤنا واحد برحيله وأتقدم من العائلة ومن كل محبيه ومنكم بأسمى آيات المواساة.

ومن لبنان أيضاً عبّرت الرفيقة ماري ناصيف الدبس، منسق القاء اليساري العربي، عن التعازي بوفاة الرفيق يعقوب الجناحي، متقدمة بمشاعر المواساة لرفاقه في المنبر التقدمي، وعبرهم لأسرته وللشعب البحريني.

فضفضة

عيسى الدرازي

## أعباءٌ معيشية

عبّرت 8 جمعيات سياسية في مقدمتها المنبر التقدمي عن هواجس يجب الالتفات لها سريعاً وحلحلتها كونها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمعيشة المواطنين، كل المواطنين. وقالت الجمعيات السياسية في بيان لها بأن: «الفترة الماضية شهدت ارتفاعاً جنونياً في أسعار المواد الغذائية، حيث بلغت نسبة التضخم في أسعار هذه المواد 12٪ خلال الأشهر الأولى مطلع العام وفقاً للإحصائيات الرسمية، بينما الشواهد على الأرض تشير إلى ارتفاع بما لا يقل عن 30٪»، مشيرةً إلى أن ذلك: «ينسحب على الخدمات الرئيسية كالمطاعم والملابس والنقل والمواصلات وغيرها».

ويُعدّ اللجوء إلى الحلول الفورية كمضاعفة ضريبة القيمة المضافة إلى 10٪ سبباً في زيادة الأعباء المعيشية للمواطنين، بحسب بيان الجمعيات، إضافة إلى وقف الزيادة السنوية للمتقاعدين، وعودة البنوك لاستقطاع الأقساط المصرفية. كلها عوامل تراكمت حتى أثقلت المواطن دون وجود فسحة أمل ممكن ان يترقبها المواطن في نهاية اجراءات التقشف والتوزان المالي المتبعة منذ 2019.

وصف بيان الجمعيات السياسية، وهي تتحدث بلا شك بلسان الغالب الأعم من المواطنين، بأن الكثير منهم يعاني من: «تدني الرواتب والدخل وضعف شبكة الحماية الاجتماعية والبطالة»، وحذر البيان مما: «يهدد الحياة المعيشية لمئات الآلاف من الأسر البحرينية ويدفعها نحو هاوية الفقر».

وقدّمت الجمعيات وصفة علاجية لما هو قائم، حيث توقعت أن: « تتضاعف إيرادات النفط إلى أكثر من ثلاثة مليارات دينار هذا العام، كذلك إيرادات الضريبة المضافة التي يتوقع أن تصل إلى 800 مليون دينار وهي بمجموعها سوف تسد عجز الميزانية بالكامل وتخلق فائضاً كبيراً»، ودعت لأن: «يستخدم جزءاً من ذلك لدعم المواطنين والمتقاعدين من خلال زيادة الرواتب والإعانات والعلاوات الشهرية ودعم الأرامل والعاطلين».

صحيح بأنه لا يمكن مقارنة مداخيل اقتصاديات دول الجوار مع ما ينتجه اقتصادنا سواء عبر ايرادات النفط أو غيرها من الايرادات البديلة، إلا ان قصص النجاح كثيرة والعديد من الدول قامت وتعتبر من الدول الاقتصادية الكبرى بعدما كانت لا تملك نصف المقومات الاقتصادية التي نمتلكها نحن، إلا ان الرغبة الجادة والإرادة الحقيقية وتفعيل الشفافية والمساءلة وتمكين الكفاءات الوطنية المسؤولة، هو ما يحتاجه البلد للخروج من هذه الضائقة.

«سوّ الذي ما يستوي .. راوني العجب»

# أمسية للأمل والحياة وفاءً لذكرى الفنان سلمان زيمان

**كتبت نعيمة السماك:**

ليست هي المرة الأولى التي احضر فيها فعالية لجمعية المنبر التقدمي، لكنّها المرة الأولى التي أجد فيها صعوبة فائقة لأجد موقفاً او مساحة فاضية استطيع فيها ركن سيارتي. وحين ولجت المكان هالني العدد الغفير إذ امتلأت جميع المقاعد في الصالة الرئيسية واضيفت مقاعد في الصالة الخارجية. وبقي عدد كبير من الحضور واقفين، لحضور «أمسية الأمل والحياة» التي قدّمها المنبر التقدمي وفاءً لذكرى الفنان الراحل سلمان زيمان. والتي شارك فيها نخبة من الفنانين والشعراء من أصدقاء ومحبي الفنان سلمان، وأدارتها الشابة سوسن حسن.

ابراهيم الدوسري

## الدوسري:
## محطّات في تاريخ سلمان

قدّم الفنان إبراهيم الدوسري ورقة بعنوان «محطات في مشوار الفنان سلمان زيمان». وهنا بعض مما جاء فيها: «ولد الفنان سلمان زيمان في مدينة المحرق وعاش في بيت كبير يدعى بيت بن نبهان. تقطن فيه أكثر من أسرة من افراد العائلة. كان يسكن فيه الجد والجدة ووالده دعيج وعمه وأسرهم. يقع البيت في حي علي راشد فخرو في فريج بن هندي. وفي سن السابعة انتقل سلمان وأسرته الى منزل آخر خاص بهم بالقرب من البيت القديم، بيت بن نبهان.

تميّزت أسرة الفنان بالتعاضد والتعاون. كانت اسرة يربطها الحب، وكان للفنان الراحل بوعيه دور كبير في توطيد علاقة المحبة بين افراد اسرته. جميع أفراد العائلة لهم ميول فنية. والده يعمل في شركة بابكو بنظام النوبات. تحيط بالبيت دور الغناء والطرب الشعبي التي تأثر سلمان بها وعشق الات الطبل، التانقو، رغب في شراء طقم إيقاعات ولكن كان سعرها 100 دينار وليس لديه سوى 45 دينار.

عيسى هجرس

عبدالحميد القائد

ابراهيم المنسي

# البحرين من أكثر الدول العربية التي قدمت أغانٍ عن فلسطين بفضل سلمان و«أجراس»

## باستشهاد الشاعر سعيد العويناتي أبدع زيمان في «دمع الدفاتر حبر»

التحق الفنان سلمان زيمان بنادي الجيل وهو في المرحلة الثانوية، وشارك بالفرق الموسيقية بالنادي. بعد تخرجه في الجامعة التحق بفرقة «نجوم الخليج» الموسيقية، كعازف على آلة الجيتار ومغني. جاء تأسيس فرقة أجراس عام 1982. الشريط الأول لفرقة أجراس «أمنيات الأطفال»، البوم «أم الجدائل» 1983، البوم «اعتذار» 1985، «من أغاني الأشواق» 1988، «أبو الفعايل» 1992.

### هجرس: الخلق السامي والموهبة المبدعة

بدوره قدّم الفنان عيسى هجرس كلمة طويلة، هي بمثابة مرثية عبّر فيها عن المشاعر التي انتباته لرحيل الفنان سلمان، متذكرا خصاله ومواقفه الإنسانية، مقتبسا مقاطع كثيرة من أغانيه، وجاء فيها: "رأيت فيكَ مساحةَ طيب جالتْ عليها قوافلُ السعادة وتشجرتْ على جوانبها أطيافُ الأمل، نفسٌ متساميةٌ فوقَ المألوفِ والمتعارف، شاردةٌ من شرنقةِ الفعلِ وردةِ الفعلِ الرتيبة. تعامدَ الخلقُ السامي والموهبةُ المبدعةَ في كيانْ.. فأسسا فناناً شامخاً اسمهُ سلمان زيمان". عشقتَ سلالمَ الموسيقى وهرولتَ نغماً فوقَ مقاماتها وموازيرها، تعزفُ معزوفَتك حتى القفلةِ الكبيرةْ، والنهايةِ الرهيبةْ وختمها بالقول: «جمالُ الوردِ يموتْ.. ورونقُ الإنسانِ يموتْ.. وزهو المناصبِ يموتْ.. إلا

جانب من الحضور

حسن مدن

علي حسن

محمد الياسي

# جمال الورد يموت ورونق الانسان يموت وزهو المناصب يموت إلا جمال الإبداع

جانب من الحضور

جمالَ الإبداعِ نغماً ولوناً وخطاً، وما عمرهُ الشعرُ من بَيوتْ...فنهرُ الإبداعِ العظيم قدّر الله مجراهُ في عروقِ بعض البشَر، فإذا نبعهُ نضبْ.. يظل مسرى بصماتهِ نقشاً خالداً على ضفافِ المصبْ".

## الشعر كان حاضراً

تضمّن الحفل فقرة شعرية شارك فيها كل من الشاعرين عبدالحميد القائد وإبراهيم المنسي. القائد الذي ترك شعره يتحدث عنه، مستذكرا وجوده في المقبرة إبان تشيع سلمان، واستحضر في ذات الوقت الموسيقى الراحل مجيد مرهون. فكأنما رفيق روح سلمان زيمان، الفنان مجيد كان في انتظار له. فيما قدّم إبراهيم المنسي قصيدة تحية ورثاء للفقيد باللهجة العامية، وقدّم الشاعران نصوصهما بمصاحبة الفنان علي الديري على آلة العود.

## د.مدن: عندما غنى سلمان: «مع الدفاتر حبر»

د.حسن مدن قدّم شهادة في الفنان الراحل، استذكر فيها أول مرة التقى فيها به، في بغداد في العام 1976، حيث كان سلمان يدرس الهندسة آنذاك، حيث جمع بهما معيّة طلبة بحرينيين آخرين، سكن واحد، هي شقة في حي الأعظمية ببغداد. وما ميّز سلمان، حسب مدن، حبه اللافت للموسيقى وملازمته لآلة الجيتار، الذي كان يعزف عليه العديد من الأغاني وبخاصة الأغاني اليمنية التي تعلق بها.

واستطرد مدن قائلاً: "بعد استشهاد الشاعر سعيد العويناتي، كتب الشاعر العراقي كاظم الرويعي قصيدة رثاء في الشهيد باللهجة العراقية. سحرت كلماتها الفنان سلمان. ولا زلت استذكر الأوقات التي انكبّ سلمان فيها على تلحين الكلمات والتمرن الكبير، فظهرت للوجود الأغنية التي ذاع صيتها فيما بعد، "دمع الدفاتر حبر».

واستذكر مدن آخر مرة ظهر فيها الفنان سلمان للجمهور في هذه الصالة، أي صالة المنبر التقدمي منتصف فبراير 2020، حين كان «التقدمي» يقيم احتفالية بمناسبة الذكرى 65 لتأسيس جبهة التحرير الوطني، حضرها ضيوفه

عمرو عاطف

علي الديري

سوسن حسن

# انحاز سلمان زيمان للقضية الفلسطينية، واختار لأغنياته كلمات لشعراء فلسطينيين كبار

المشاركون في المنتدى الفكري السنوي، حيث أدى سلمان أغنيته الشهيرة: "أبو الفعايل"، فكأنه كان يودعنا بابتسامته الجميلة.

أن أكثر ما يميز سلمان هو إنحيازه للقضية الفلسطينية، ويحسب له اختياره لأغنياته كلمات شعراء مثل محمود درويش، وتوفيق زياد، وسميح القاسم وغيرهم. وبهذا كانت البحرين من أكثر الدول العربية التي قدمّت أغان عن فلسطين، بفضل سلمان وفرقة "أجراس".

## علي حسن: مكانة سلمان كبيرة عند عائلته

ثم قدم الأستاذ علي حسن علي كلمة عائلة الفقيد، مستعيداً فيها صفات ومكانة سلمان بين افراد عائلته، وحبهم الكبير له، وما زالوا يتذكرون مواقفه حتى اللحظة. وأن أولاده وأحفاده ما هم الا امتداد له.

## معرض مقتنيات ووصلة للموسيقى والغناء

تضمنت الفعالية أيضاً معرضاً مصغراً لبعض مقتنيات الفقيد، بما في ذلك آلة الجيتار التي كان يعزف عليها، فضلاً عن عدد من دروع وميداليات التكريم التي نالها، وصوراً من حفلاته الغنائية.

الفرقة الموسيقية

كما قدّم عدد من الفنانين الشباب وصلة موسيقية – غنائية قدّموا فيها بعض أغاني سلمان الشهيرة، التي جمعتنا ومازالت تجمعنا: «حالي يا حالي»، «ربوع الشمال»، «لأعبر بحر سباح يمكن الاقيكم»، لكأن سلمان كان يرثي حاله بها، واختتمت الأمسية بالأغنية الأشهر لسلمان «يابو الفعايل ياولد»، سوى الذي ما يستوي .. راوني العجب راوني العجب».

وشارك في هذه الوصلة كل من: ناصر زيمان، عبدالله عارف، محمد الياسي، عمرو عاطف، ناصر العيسى.

# بابكو: استغناء تدريجي عن 570 أجنبيًا وتوظيف 856 بحرينيًا

أفادت شركة نفط البحرين بابكو أنها تسعى إلى توظيف 856 من الكوادر الوطنية في سياق متطلبات التشغيل للمصفاة الجديدة، وذلك بدءًا من العام الجاري 2022 وحتى العام 2026.

وذكرت بأن ذلك يأتي ضمن خطّة تستهدف تنفيذ سياسة الإحلال من خلال الاستغناء التدريجي عن 570 موظفًا أجنبيًا بعد استكمال مشروع تحديث المصفاة والذي بموجبه لن تكون هناك حاجة لخدمات عدد من الموظفين الأجانب ذوي الخبرة والذين سيتم استبدالهم بموظفين بحرينيين يتم إلحاقهم حاليًا ببرامج التطوير في الشركة.

وقالت بأنها تهدف للوصول إلى نسبة بحرنة بواقع 90٪ في العام 2026، وذلك ضمن مبادراتها الداعمة للبحرنة.

كما كشفت شركة (بابكو) في مذكرة لمجلس النواب بأنها تعمل حاليًا على تأهيل وإعداد 270 بحرينيًا من موظفي الشركة لتولي الوظائف القيادية والفنية، بالإضافة إلى رعاية 10 موظفين بحرينيين في مجال الدراسات العليا والمهنية.

«الأيام» – 12 يوليو 2022

# عمان تمنع عمل الوافدين في أكثر من 200 مهنة

قررت سلطنة عمان حظر 207 مهن على العمالة الوافدة لتوفير فرص وظيفية للمواطنين.

وأصدر وزير العمل العماني محاد بن سعيد بن علي باعوين، قراراً وزارياً رقم 532 /2022 بتنظيم مزاولة بعض المهن.

ونصت المادة الأولى على حظر القوى العاملة غير العمانية من مزاولة المهن التالية، من بينها مدير إداري ومدير شؤون موظفين ومدير علاقات عامة ومدير موارد بشرية ومدير العلاقات والاتصالات الخارجية ومدير مكتب الرئيس التنفيذي ومدير توظيف/ استخدام ومدير رقابة إدارية ومدير متابعة ومشرف أمن ومدير تدريب ومدير شؤون الطلاب ومدير القبول والتسجيل ومشرف تدريب ومدير التوجيه الوظيفي ومدير مكتبة ومشرف سكن داخلي ومدير محطة تعبئة وقود ومدير ضبط جودة التعليم العالي ونائب مدير عام ونائب مدير ومساعد مدير عام ورئيس قسم ورئيس قسم الشؤون النقابية ومساعد رئيس قسم.

اختصاصي نظم معلومات إدارية ومهندس كيميائي/ تكرير نفط واختصاصي علم نفس / اجتماعي واختصاصي علم اجتماع / عام واختصاصي خدمة اجتماعية واختصاصي رعاية اجتماعية ومرشد اجتماعي واختصاصي اجتماعي عام وأخصائي أنشطة طلابية وكاتب قانوني وأمين مكتبة ومحاسب رواتب وأجور واختصاصي تأمين / عام واختصاصي إعادة تأمين واختصاصي تأمين ضد المخاطر واختصاصي إدارة أعمال واختصاصي موارد بشرية.

وتشمل المهن المحظور عمل الوافدين بها أيضاً: اختصاصي علاقات عامة واختصاصي شؤون موظفين واختصاصي تخطيط وتوزيع الموارد واختصاصي شؤون إدارية ومراقب إداري واختصاصي توظيف وفني تحليل نظم ومشرف نظام خدمات المشتركين ومشرف ورشة ومفتش سلامة مهنية/ نفط وغاز ومفتش سلامة مهنية/ أخطار بيئية ومرحل جوي وفني بحث.

وتتضمن القائمة أيضاً: مساعد مدرب وكاتب عطاءات وكاتب مشتريات وأمين صندوق ومنسق تنفيذي ومقرر اجتماعات ومنسق إداري ورئيس فريق العمل الميداني وفني اختزال ومشرف مكتبة ومشرف مدخلي البيانات ومشرف حفظ ملفات وفني موارد بشرية وضابط أول/ الترخيص والشهادات والتخطيط ومنظم عقود عمل ومشرف شؤون موظفين.

كما تتضمن القائمة كل من: وكيل تخليص جمركي ومشرف مخازن وكاتب محام وكاتب إداري/ عام وكاتب وارد وصادر ومنسق وكاتب متابع وكاتب ملفات وكاتب تحرير مراسلات ومدخل بيانات ومخلص معاملات وطابع عام ومشغل آلات استنساخ، ناسخ وكاتب تسجيل شؤون طلاب وكاتب تسجيل أراض وعقارات وكاتب تصديق وثائق وكاتب مكتبة ومشرف مركز مصادر التعلم وكاتب تدقيق بيانات ومساعد فني خدمة اجتماعية وكاتب فهرسة/ تصنيف الكتب وكاتب توظيف (استخدام) وكاتب شؤون الموظفين وكاتب دوام ومفتش عمليات الطيران.

بالإضافة إلى مشرف أول عمال وأمين مخزن وكاتب استلام بضائع وخازن ووزان وكاتب استقبال عام وكاتب استقبال فندقي وكاتب استقبال مرضى وكاتب شكاوى وكاتب استلام سيارات وكاتب استعلامات عامة وكاتب علاقات عامة وكاتب استعلامات سياحية.

## عمال ألبا ومواجهة الغلاء و التضخم

جددت النقابة العمالية في شركة "ألبا" مطالبتها الجادة للإدارة التنفيذية للشركة للنظر في تعديل الرواتب والعلاوات التي مرّ عليها أكثر من عقد من دون تغيير، وفتح سقف الراتب بما يتناسب والتضخم السنوي وموجة الغلاء ومواكبة التطورات الاقتصادية محليا وعالمياً .

كما دعت النقابة العمال للتقيد بالأنظمة واللوائح الداخلية للشركة والحرص للعمل بالممارسات السليمة حرصاًعلى سلامتهم.

## كاريكاتير خالد الهاشمي

## نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

## 9 % زيادة في «المتقاعدين الجدد» من «الخاص»

شهد الربع الاول من العام الجاري 2022 تقاعد 1049 موظفا من القطاعين الخاص والعام وذلك وفق أحدث إحصائات هيئة التأمين الاجتماعي و بزيادة قدرها 5 ٪ من عدد المتقاعدين في الربع الاول من العام المنصرم.

و أظهرت الاحصاءات قيام 918 موظفا في القطاع الخاص بالتقاعد خلال 3 اشهر بنسبة 87.5 ٪ من إجمالي الخارجين للتقاعد و بإرتفاع قدره 9 ٪ مقارنة بالمتقاعدين من الخاص في الربع الاخير من 2021.

كما ظهرت الاحصاءات تقاعد 131 موظفا حكوميا في الاشهر الثلاثة الاولى من العام الجاري بنسبة 12.5 ٪ من إجمالي عدد المتقاعدين و بإرتفاع قدره 1 ٪ عن المتقاعدين من الحكومة في الربع الاخير من العام المنصرم.

و لأول مرة ارتفع عدد أصحاب المعاشات الاحياء و المتوفين الى 90 الف شخص بعد أن كان 85 الف شخص قبل عام واحد كما ارتفع عدد المتقاعدين الى 76.685 الف متقاعد . 64 ٪ من الذكور و 36 ٪ من الاناث.

ويبلغ مجموع المتقاعدين من القطاع الخاص في الوقت الحالي 42.528 ألف شخص مقابل 34.157 من القطاع الحكومي و يبلغ عدد المتقاعدين من الذكور في القطاع العام 20.031 شخصا مقابل 14.126 من الأناث.

أما المتقاعدون من القطاع الخاص فيبلغ عدد الذكور 29.218 مقابل 13.310 للإناث.

«الأيام» – 12 يوليو 2022

# «تقدّم» تدعو الحكومة للاستفادة من زيادة النفط لدعم الأجور

أكدّت كتلة تقدم البرلمانية على ضرورة أن تبادر الحكومة بطرح أفكار ومبادرات عاجلة في ظل الارتفاع المتزايد في الأسعار وبشكل خاص السلع الاستهلاكية. داعية لأن تكون تلك المبادرات لمساعدة مختلف شرائح المواطنين، وبشكل خاص الشرائح الفقيرة والمتوسطة الدخل، على التغلبِ والتكيف تدريجياً مع مستويات تضخم أسعار السلع الاستهلاكية، عبر المضي سريعاً في مراجعة وتفعيل سياسات دعم السلع ودعم الأسر، بما ينعكس إيجاباً على أوضاع مختلف الشرائح المتضررة بصورة مباشرة، من الإرتفاع المتزايد في مستويات أسعار السلع وتضخم فاتورة الأسر.

واعتبرت الكتلة بأن: «دعم الأجور والرواتب أو دعم العلاوات الاجتماعية في مثل هذا التوقيت الهام والحساس سوف يحقق بدوره رافعة حقيقية للأفراد والأسر، بمثل ما يحقق دفعاً للأعلى للاقتصاد الوطني والقوة الشرائية للمواطنين وبالتالي تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، خاصة وأن المالية العامة للدولة باتت في أوضاع أفضل كثيرًا عما كانت عليه منذ شهور مضت مع ارتفاع أسعار النفط وتزايد معدلات النمو، وذلك بحسب البيانات الصادرة من البنك المركزي ووزارة المالية والاقتصاد الوطني».

وشددت الكتلة في بيان لها على: «أهمية مراجعة ومعالجة زيادة أسعار السلع وسياسات الدعم القائمة، خاصة في ظل عدم زيادة الأجور والرواتب بالنسبة للشرائح المجتمعية المختلفة، وبالتالي تفعيل ورفد القوة الشرائية لعموم شرائح المستهلكين وتفادي الإنحدار المضطرد للمزيد من الشرائح الاجتماعية في هوة الفقر والعوز».

# «تقدّم» تقود تحركاً برلمانياً لبحث الأوضاع المعيشية للمواطنين

رفعت كتلة «تقدّم» البرلمانية بمعية عدد من النواب، هم بالإضافة إلى أعضاء الكتلة الثلاثة، كل من خالد صالح بوعنق، محمد خليفة بوحمود، ممدوح الصالح، زينب عبدالامير، ابراهيم خالد النفيعي، عمار آل عباس، ومحمود البحراني، رسالة إلى رئيس المجلس لدعوة الحكومة لاجتماع عاجل لمناقشة الأوضاع المعيشية للمواطنين في ظل الارتفاع الهائل في الأسعار وموجة الغلاء الفاحش التي باتت انعكاساتها واضحة على المواطنين وعلى القوة الشرائية في الاسواق.

وأكد مقدمي الطلب على أن:» الغرض الأساس من الاجتماع مع الحكومة يتمحور بشكل واضح وصريح حول مناقشة انعكاسات موجة الغلاء على الأوضاع المعيشية ووضع الحلول للقروض المتراكمة على المواطنين وزيادة العلاوات وتحسين الأوضاع المعيشية بالنسبة للمواطنين في البحرين».

وطالب النواب بإشراكهم كمقدمين للطلب في الاجتماع مع الحكومة، داعين إلى: « أهمية إصرار الرئاسة على أولوية مناقشة المواضيع ذات الصلة بالوضع المعيشي والتي تشكل هاجسا أساسيًا للمواطنين بجميع شرائحهم، والتي يأتي في مقدمتها ضرورة وضع الحكومة لخطة واضحة المعالم للتعاطي مع موجة الغلاء وتضخم الأسعار وتراجع دخل الأسر بشكل كبير وتزايد الأعباء المعيشية».

وشدد النواب على أهمية: «التفكير الجدي في زيادة الرواتب بالنسبة لجميع العاملين في القطاعين العام والخاص عبر آلية معلنة، وإلغاء نسبة الزيادة الأخيرة 5٪ من القيمة المضافة، ومراجعة جدول العلاوات الاجتماعية والمعونات لجميع المواطنين عبر زيادتها بشكل لا يقل عن 100٪ وبالمثل إعادة الـ 3٪ لجميع المعاشات التقاعدية والتفكير بشكل عملي في خفض تكلفة مختلف شرائح استهلاك الكهرباء بالنسبة للمواطنين، وإعادة هندسة سياسات الدعم المقدمة بما ينعكس ايجابا على تحسين اوضاع المواطنين».

## هاشم يطالب بمبادرات تساهم في تخفيف آثار التضخم على المواطنين

قال النائب عن كتلة «تقدّم» فلاح هاشم بأن: "البحرين ليست استثناء من تأثير الارتفاع الكبير في الأسعار الذي يشهده العالم، والذي أثرّ سلباً في المستوي المعيشي للغالبية، وبالأخص ذوي الدخل المحدود".

واعتبر هاشم بأن: "تطبيق قرارات وقوانين مثل الضريبة المضافة وغيرها كان له تأثير سلبي كبير على مستوى معيشة المواطنين والقدرة الشرائية، وخصوصا أن متوسط مدخول الغالبية العظمى من المواطنين يُصرف في أساسيات الحياة المعيشية".

وطالب هاشم: "بمعالجات حقيقية تساهم في تخفيف هذه الأعباء وتأثيراتها على المواطنين أسوة بالدول الخليجية الشقيقة"، داعياً إلى: "إيجاد مبادرات بحرينية متميزة تساهم في تخفيف آثار التضخم وارتفاع الاسعار على المواطنين".

# مكافحة الفساد تؤتي أكلها حين تمتد للكبار

نوّه النائب يوسف زينل بالخطوة التي أقدمت عليها وزارة الداخلية، والمتمثلة في القبض على ضابط شرطة بدرجة وكيل وزارة مساعد، إثر استغلاله لمنصبه في ارتكاب تجاوزات مالية وإدارية وتحقيق الربح لنفسه وشركاته من خارج الوزارة، وحبسه وإحالته للنيابة.

وبين أن الخطوة تأتي لتعبر عن الجدية الرسمية في مكافحة مواطن الفساد، بما فيها تلك التي قد يظن أصحابها أنهم في مأمن من الحساب والعقاب، لافتًا إلى أن هذه المكافحة لا تؤتي أكلها ونتائجها إلا حين تمتد لكبار الفاسدين، وصولاً للضرب بيد من حديد على مسعى كل من تسول له نفسه العبث بالمال العام.

ونوّه زينل بما تمثله الخطوة من ترجمة لتوجهات الدولة، والتي باتت تشكل منظومة بدأت بالتقارير السنوية الصادرة عن ديوان الرقابة المالية والإدارية ولسان التحقيق النيابية وعموم الجهد الرقابي للسلطة التشريعية وتاليًا تقارير التدقيق الاستقصائي، ليشكل كل ذلك حالة تراكم ووعي رسمي وشعبي بالحاجة لتخفيف كل منابع الهدر المالي والفساد الإداري، والعمل المشترك تنفيذًا لبنود اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المنظمة إليها مملكة البحرين.

## زينل يدعو لتطوير عمل ديوان الرقابة للوصول لمواقع الفساد

اعتبر عضو كتلة «تقدّم» النائب يوسف زينل بأن: «توسع ديوان الرقابة المالية والإدارية في التدقيق الاستقصائي، يأتي في سياق مراكمة الجهد الرقابي الكبير والمميز للديوان».

وأكد زينل على الحاجة لمثل هذه الخطوة الرامية لمكافحة الفساد والرقابة منه وتلافي آثاره، بما يسهم في تعافي البلد اقتصاديًا والوصول إلى التوازن المالي المنشود، وتعزيز جاذبية المملكة للاستثمارات.

ولفت إلى أهمية الأخذ بعين الإعتبار عمر ديوان الرقابة البالغ عقدين من الزمان، وهي فترة زمنية كافية لتقييم تجربته من حيث قدرة تقاريره السنوية على تحقيق الغاية من تأسيس الديوان. وأضاف: بشكل عام، يمكن القول إن التجربة حققت نجاحات على صعيد إشاعة ثقافة الرقابة في الأجهزة الحكومية من وزارات وهيئات، وهو أمر من شأنه التأثير إيجابًا على مستوى حوكمة العمل والإرتقاء بالأداء وتحسين الخدمات، وإن بدا هذا التأثير بطيئًا وجزئيًا، الأمر الذي يؤكد الحاجة لتطوير عمل الديوان باتجاه الوصول لمواقع الفساد والإطاحة بالفاسدين، وهي نقلة مرتقبة وتعبر عن طموح نيابي وشعبي.

## دعوة للخدمة المدنية والعمل لإعلان التخصصات المطلوبة في السوق العمل

دعا عضو «تقدّم» النائب يوسف زينل جهاز الخدمة المدنية ووزارة العمل لإعلان قائمة التخصصات المطلوبة في سوق العمل والتي يوجد لها شواغر حاليًا، من أجل إرشاد الراغبين في إكمال دراستهم الجامعية إلى الخيار المهني المناسب.

وأضاف: لن يتطلب هذا الإعلان جهدًا خارقًا من الجهتين، الجهاز والوزارة، غير أن أثره سيكون عظيمًا وسيشكل مدخلًا لحل الإشكالية المزمنة والمتمثلة في وجود شريحة من الخريجين الجامعيين من غير القادرين على الإلتحاق بسوق العمل بما يتناسب مع مؤهلاتهم التي لا شواغر لها في السوق.

وتابع: القائمة المطلوبة تشمل القطاعين العام والخاص، وهي خطوة عملية باتجاه تحقيق حلم إحلال البحريني المؤهل محل الأجنبي الموظف في الأجهزة الحكومية، الأمر الذي من شأنه تحقيق منافع جمة للبلد، حكومةً ومواطنين، عبر حلحلة جزء من البطالة وتوجيه مصروفات الميزانية العامة ناحية ابن البلد والداخل، ورفد صندوق التقاعد بمزيد من الإيرادات.

وبين زينل ضرورة استدامة خطوة إعلان القائمة، من خلال العمل على تحديثها سنويًا وتضمينها الإجابة الشافية للخريجين بشأن التخصص الجامعي الأنسب لهم، وتغذية الجامعات ومعاهد التدريب باحتياجات وشواغر سوق العمل المحلي.

## طيران الخليج تتجاهل فتح خطوط مربحة

قال عضو كتلة «تقدّم» النائب فلاح هاشم بأنه: «بعد مرور ما يقارب الشهرين على تصريح القنصل العام للبحرين في مدينة النجف بالجمهورية العراقية عن إعادة حركة الطيران بين مطاري البحرين والنجف الدوليين ما بعد جائحة كورونا، لازال عدد كبير من المواطنين يتساءلون عن موعد تسيير تلك الرحلات بواسطة الناقلة الوطنية خاصة مع بدء موسم الزيارات الدينية للعراق».

وأضاف: «إن إعادة تسيير رحلات طيران الخليج لخط النجف سيقدّم خدمات لعشرات الآلاف من المواطنين الذين لهم الحق في الإستفادة من خدمة ناقلتهم الوطنية، ومن ناحية أخرى فإن هذا الخط سيرفد إيرادات الشركة بمبالغ غير قليلة حيث أن خط النجف من الخطوط المربحة والتي تمتاز بحجوزات مكتملة بشكل دائم.»

مطرقة البرلمان

# حتى نستعيد زخم البدايات

يكثر الحديث خلال الفترة الحالية والتي تسبق موعد الإنتخابات النيابية والبلدية حول ماهية الخيارات المتاحة امام الناخب البحريني، والذي سيتجه بعد اقل من أربعة أشهر إلى صناديق الإقتراع لإختيار ممثليه تحت قبة البرلمان وفي المجالس البلدية، وهي مهمة وطنية ومسؤولية يجب أن تعطى ما تستحق من الإهتمام والعناية من قبل الجميع وفي مقدمتهم الدولة، وأقول الجميع هنا لأن المهمة لا تقتصر فقط على حسن او سوء اختيار الناخب كما يتصور البعض، وانما هي عملية تتداخل فيها العديد من العوامل التي يجب ألا تهمل أو تترك دون معالجات اذا اردنا بالفعل ان نرتقي بالعمل النيابي والبلدي والسياسي بشكل عام، وحتى نستفيد من حجم الخبرة التراكمية، وإن كانت لا تزال محدودة بحسب عمر تجربتنا الزمني.

عبدالنبي سلمان

إلا ان المسؤولية تحتم علينا الإعتراف أولاً أن تجربتنا الناشئة لا زالت تحتاج بالفعل لعدة روافع أظنها بقيت مهملة أو غير منتبه اليها بالقدر الذي يجعلنا نثق بأن كل المآخذ التي لا زالت تلازم التجربة ويتم الحديث حولها، لن تحل هكذا اعتمادا على جدية الناخبين لوحدهم فقط في اختيار الأكفأ كما يجري التسويق لذلك باستمرار، وعلى الرغم من يقيننا ان حسن الإختيار سيبقى عاملا مهماً وأساسياً، إلا ان هناك أمور وأدوات عديدة تحيط بالتجربة لازالت تحتاج الى معالجات ووقفات.

ولعل من بينها ضرورة توافر أجواء ملائمة ومشجعة لممارسة العمل السياسي بشكل عام، وإعطاء دور ومساحات أرحب لحرية العمل السياسي والمدني والنقابي كذلك، مع رفع القيود والمعوقات التي لا زالت تواكب مسار العمل الديمقراطي وتعيقه باستمرار دون مبررات مقبولة، حيث اثبتت التجربة أن استمرارها يبقى العائق الأكبر في عدم اكتمال ونضوج جوانب مهمة من التجربة والممارسة الديمقراطية.

وهنا يجدر بنا القول إن مجرد تكرار الحديث حول ما هو الأفضل لنا حين نقرر الإختيار بين من يفترض أن يمثلوننا، هل هم نواب الجمعيات السياسية او من يسمون انفسهم في العادة مستقلين، أعتقد جازما أن مجرد حضور هذا الخطاب بهذه الكثافة يشي بحد ذاته عن وجود خلل وعوار من نوع ما لابد علينا من تشخيص مسبباته، ونحن الذين حفظنا عن ظَهر قلب أن لا عمل سياسي بدون أحزاب أو تيارات سياسية فاعلة!

لماذا الأحزاب السياسية وما هي طبيعة الاحزاب والتيارات التي يممكن الإعتماد عليها في ترشيد وتأطير واسناد العمل الديمقراطي في البلاد؟!

في ظني أن تلك مهمة تحتاج إلى وقفات عديدة ومتأنية بكل تأكيد من قبل جميع الأطراف، فنحن لا نسأل هنا بهدف تحديد أي التيارات الفكرية أو السياسية الأجدر بتمثيل الناس، ولسنا في وارد الحديث عن دعايات انتخابية هنا، بقدر ما نسعى لترسيخ مبدأ فهم طبيعة وأهمية العمل السياسي وإبعاده قدر ما نستطيع عن العبث، وتقويمه والبناء على ما تحقق، وكذلك البحث مع الآخرين عن الإلتزام والتنظيم والمتابعة والإسناد وفرض المحاسبة وتحمل المسؤولية السياسية، والقدرة على صياغة التحالفات مع مختلف التيارات الفاعلة، والتي لا يدخل من ضمنها تلك الدكاكين الإنتخابية كما يسميها البعض، والتي عادة ما تخرج فجأة وتختفي بذات السرعة والكيفية التي ظهرت بها!! بل نعني هنا بالضبط تلك التيارات السياسية المجربة والقادرة على ان تقنع مريديها ومحازبيها والشارع بشكل عام ببرامجها السياسية والتنموية، وقدرتها على رفد برامج الدولة وتطلعاتها الاجتماعية والتنموية والإقتصادية، علاوة على كفاءة كوادرها وخبراتها في صياغة ذلك النوع من العمل الدؤوب مع مؤسسات الدولة وبرامجها، وكذلك القدرة على نقدها وحتى رفضها بشجاعة الموقف إن دعت الحاجة، وفي المقابل قدرتها على طرح البدائل أمام الدولة والمجتمع، في سعي الجميع إلى مجابهة التحديات المزمنة او الطارئة.

وبطبيعة الحال نحن لا نحاول أن نقترح صورة غاية في المثالية، أو لندخل في خانة التنظير الفارغ كما يعتقد البعض، بقدر ما نطرح فهمنا لما يجب أن تكون عليه تجربتنا التي استمدت قوة زخمها الأول كما يعلم الجميع مما قدمه ميثاق العمل الوطني بما حظي به من حالة تقترب كثيراً من حالة الإجماع، وأعطى في حينه دفعات ناجزة على مختلف الصعد لقيت اشادات داخلية وخارجية في حينه، على الرغم من تباين وجهات النظر تجاه مجريات أحداث ذلك التحوّل الإيجابي في مسيرة بلادنا السياسية، وهذا امر طبيعي، كما ساعد في إحداث كل ذلك التحوّل وهيأ له تطلعات وتضحيات شعبنا وقواه السياسية بمختلف تلاوينها عبر تاريخ حافل من أجل إنجاز مشروع دولة عصرية ناهضة، وهو مشروع لابد أن يظلّ قائماً ومستمراً إنطلاقا من مسؤولية الجميع تجاه حاضر ومستقبل هذا الوطن وتطلعات جميع أبناءه وشرائحه، نحو حياة أفضل وفي سبيل مجابهة كل ما يعترض مسيرة البناء والتحديث من معوقات وتحديات..

وهنا نخلص إلى القول إن على الدولة والقوى السياسية جميعها دون استثناء، السعي بمسؤولية وشجاعة وصبر من أجل خلق واقع سياسي جديد بأفق ايجابي يحتضن الجميع ضمن مشروع وطني يستطيع بالفعل ان يعيدنا لزخم البدايات التي خلقها ميثاق العمل الوطني في وجدان كل وطني غيور على أرضه ومصالح شعبه المتعطش للإسهام بمسؤولية في عملية بناء دولة عصرية قادرة على المضي بثقة وعزيمة وسط كل ما يحيطنا من تحديات وإعاقات.

# دور العمل التطوعي في خدمة المجتمع (٢)

كانت البدايات الأولى للعمل التطوعي في مرحلة الغوص، منذ عام ١٩١٦ حتى مرحلة الثلاثينات، قبل اكتشاف النفط عام ١٩٣٢، ومن ضمنها تحرك الغواصين عام ١٩١٩ لمواجهة الظلم الواقع عليهم من النواخذة، وتدخل القنصل البريطاني لحل هذا الإشكال، وكان هذا التحرك في مضمونه تحركاً عفوياً وغير منظم، ومفهوم العمل التطوعي قديماً هو المشاركة الجماعية تحت مظلة (الفزعة)، ومعناها الشعبي: «عِيني وأعاونك».

علي الحداد

وهي بشكل عام مبادرة من أهالي المنطقة، أو الحي، ويطلق عليه (الفريج)، وبسبب العلاقة الأسرية والاجتماعية ما بين أهالي المناطق تتعزز مبادرات الفزعة، ولتوضيح معنى الفزعة نسوق مثالاً أنه عند مبادرة أحد أهالي المنطقة بترميم أو بناء المنزل، عليه الاستعانة فقط بالبنّاء، والمعروف بالأستاد، الذي يشرف على بناء المنزل، أما بقية العمال فهم من أهالي المنطقة وبدون مقابل مادي بمجرد توفير مواد البناء ووجبة خفيفة للعاملين وهكذا تتكرر العملية لأشخاص آخرين.

وللنساء أيضاً دور في هذه الفزعة؛ ففي الأفراح تتكاتف جهود النساء في المشاركة في تزيين فرشة العروس والعريس المقبلين على الزواج والتكفل بالطبخ لأهالي المنطقة .

ظاهرة الفزعة اختفت تماماً بشكلها السابق، وتغيّر مضمونها، لتأتي الخدمة مقابل أجر مادي. ربما تبرز بين حين وآخر في حالة الطوارئ وحدوث الكوارث الطبيعية كما حدث عند سقوط طائرة «طيران الخليج» عام 2000، والتي سقطت في سواحل سماهيج والدير، فهبّ أهالي الدير وسماهيج بانتشال جثث ركاب الطائرة ومساعدة رجال الأمن والدفاع المدني ورجال الإسعاف، كما تجلى ذلك أيضاً في فزعة مواجهة انتشار جائحة كورونا.

كان العمل التطوعي مرتبطاً ارتباطاً وثيقا بالحركة الجماهيرية، والعلاقة بين العمل التطوعي والحركة الجماهيرية علاقة طردية، فكلما زادت وتصاعدت حركة الجماهير ونتيجة لظروف موضوعية وذاتي، تصاعدت حركة العمل التطوعي، وبهذا نفهم بأن المدّ في العمل التطوعي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتصاعد وتيرة العمل الجماهيري والعكس صحيح، فعندما يتراجع العمل التطوعي ويكون في حالة انحسار، فهذا يعني بأن العمل الجماهيري والمطالب الشعبية وصلت إلى مرحلة الجمود، وينعكس ذلك الإنحسار على الثقافة بشكل عام، وتبدأ عند الكتّاب والمثقفين والفنانين حالة القلق والخوف والبعدعن معالجة الواقع الاجتماعي .

وعندما نتكلم عن العمل التطوعي المنظم، فإننا نعني موسسات المجتمع المدني منذ بدايات تشكيلها، وتشمل الجمعيات الأهلية والخيرية والنقابات والجمعيات السياسية، وبالرغم من الحجر القانوني على الجمعيات الأهلية في تأدية دورها الحقيقي، إلا أنها مجبرة على تبني قضايا اجتماعية بعيدة كل البعد عن المواقف السياسية والحقوقية، ومن هنا تبدأ عملية الإنحسار والتراجع والجزر في تشاط هذه الجمعيات التى انحصرت في عدد محدود من الأعضاء الحريصين على الحفاظ على كيان هذه الجمعيات.

## أهم المنعطفات التاريخية للعمل التطوعي

في العام 1938 بدأت المبادرات الأولى للحركة المطلبية وبالرغم من عفويتها، وقلة الوعي النقابي لدي العمال، إلا أن مطالبهم لم تخلُ من مطلب العمل النقابي، وسبب الإضراب كان نتيجة المنافسة التي بدأت بوجود الكثافة العمالية من الأجانب وحصولهم على مميزات لا يحصل عليها العامل البحريني، علاوة على ارتفاع أجورهم مما سبب نقمة لدي العمال الوطنيين وبهذا بدأ الإضراب.

تلى ذلك حركة الهيئة بين عامي 1954 - 1956، وتميزت بكونها منظمة وتحت قيادة تمثل شريحة من التجار المتضررين من المنافسة الحادة التي اتبعتها الإدارة الإنجليزية ضد تجار البلد، ونجحت هذه الحركة الممثلة من الطائفتين وضمّت في قيادتها عبد الرحمن الباكر وعبد العزيز الشملان وعبدالرضا العليوات وقاسم الشيراوي وغيرهم من كبار التجار، في استقطاب جماهير غفيرة من مواطني البحرين مما ساعدهم في الدعوة لتشكيل اتحاد عمالي ضمّ في عضويته مايقارب سبعة وعشرين ألفاً من العمال والكادحين، إلا أن هذه الحركة لم تستمر نتيجة استهداف قادتها واعتقالهم ونفي بعضهم إلى جزيرة سانت هيلانه.

قاسم الحلال

# المنهجية في العمل السياسي

في هذه الآونة يخلط الإعلام البرجوازي في كتاباته عن السياسة والتسييس، أوراق المفهوم السياسي والمنهجية الثورية، والتسييس، بقصد أو بغير قصد، حيث نجد بعض الأقلام تنساق وراء الترداد (البغبغائي) دون الفهم العميق لأبعاد ما تسوقه الأقلام البرجوازية في تشويه الحقائق، خصوصاً في منهجية الصراع الطبقي، حيث التعمد في تشويه مفهوم التسييس، أي خلط أوراق الفهم عند البعض.

إن النهج السياسي الذي تنتهجه الحركات التقدميّة الثوريّة في صراعها الطبقي موجه نحو خدمةً نسيج وطني عام، لا يتسم بالفروقات الطائفية والعقائدية والعنصرية بين الأفراد والجماعات، مثل ما قال الزعيم البلشفي لينين بأن المبادئ الفلسفية والمنهجية والتفكير السياسي الثوري ليست مجرد حقائق علمية، إنما هي سلاح في الصراع الطبقي، صراع بين نظامين اجتماعيين عالميين.

إن لمنهجية للتفكير في العمل السياسي تأثيراً يتعاظم في حياتنا الاجتماعية، والعمل السياسي يرتبط على الدوام بنضال الطبقات الممنهج في مراحل العمل الثوري الذي يهدف انتزاع حقوق الإنسان المحروم الكادح، ضد السياسة الإمبريالية التي تتصدى بمنهجيتها وبكل أسلحتها للحراك الوطني والأممي، وتتعمد خلق النعرات الطائفية وتشجع السلبيات البرجوازية لتشويه الحراك الشعبي، بحرف أساليب العمل النضالي، وذلك لكي تبعدنا عن الصراع الحقيقي معها، أي الصراع الطبقي.

إن جوهر السياسة التي تتخذها الإمبريالية في استعمارها للدول الفقيرة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية يهدف إلى تقسيم الدول إلى دويلات، وخلق معارك طائفية، والتآمر على القوى الوطنية وتشويهها وتوريطها في صدامات مع حكوماتها، بعد أن تبرم اتفاقاً وبرامج لا تخدم الشعب، وليس لها أي أساس ديموقراطي، لكن قوى الشعب تكشف دوماً السياسات، لتعريها أمام الرأي العام العالمي لإظهار حقائق أبعاد المؤمرات، وذلك لتفويت الفرص الساعية إلى سياسة النهب عن طريق الضرائب، وارتفاع الأسعار وإشغالها بالحروب.

إننا في عملنا السياسي نعتمد على تعميم القوانين التي تخدم الانسان المغلوب على أمره بوعي وفهم تاريخي نابع عن تفكير منهجي مبرمج، وهو عمل مبني على أسس ومبادئ متطورة تخطط لمستقبل زاهر متقدم بعيداً عن الفوضى والتطرف.

جانب من حضور الحفل

المربية زهرة مصطفى مع حياة الموسوي وابنتها غادة المرزوق

# خمسون شمعة لجمعية فتاة الريف ووردة

أمسية جميلة تلك التي نظمتها جمعية فتاة الريف احتفاءً بالذكرى الخمسين لتأسيس الجمعية (١٩٧٢ – ٢٠٢٢)، مساء يوم الثلاثاء، ٢٦ يوليو الماضي. أُمسية جمعت عضوات الجمعية من جيل المؤسسات والعضوات الجديدات، وشارك في الحفل الاتحاد النسائي والجمعيات النسائية وجهات رسمية وأهلية وأفراد داعمون لنشاطات الجمعية.

مهدي مطر

بدأ الحفل بكلمة ترحيب من عريف الحفل عُلا فلاح هاشم بالعضوات والضيوف، تلتها كلمة رئيسة الجمعية السيدة حياة الموسوي رحبت فيها بالحضور: "في هذا المساء البهيج والأجواء التراثية، ووسط كوكبة من النساء الرائدات الفاعلات والرواد الفاعلين في العمل الأهلي والاجتماعي».

لتأسيس جمعية فتاة الريف عام 1972 حكاية؛ مجموعة من نساء منطقة جدحفص والسنابس والديه والقرى المجاورة، الحجر والشاخورة، حلمن وحملن شعلة التغيير، تغيير واقع المرأة في الريف، وهذا التغيير لن يتأتى إلا من خلال جمعية نسائية تؤطر نشاطهن للدفاع عن قضايا المرأة وحقوقها ورفع مستوى الوعي وسط المجتمع والتعريف بأهمية التعليم، والحديث عن فترة مطلع السبعينيات من القرن الماضي حيثُ تُهيمن النظرة النمطية للمرأة، أي أن المرأة مكانها المنزل، فضلاً عن الفقر السائد في ذلك الوقت.

تصف السيدة حياة الموسوي ظروف تلك المرحلة بالقول: "يومها كان طريق الجمعية محفوفاً بالمخاطر، اصطدمنا فيه بعراقيل كثيرة، فالقوى المحافظة والعادات والتقاليد والأدوار النمطية الموروثة للمرأة وقفت حجر عثرة في طريقنا للحصول على الإشهار، لكننا كسبنا الرهان بعد ثلاثين عاما من الانتظار".

أتذكر عام 1974 بعد رجوع المرحوم جواد العكري من سوريا، وكان وقتها سكرتيراً لمجلس إدارة نادي الديه، الذي كان من المؤسسات الداعمة للجمعية، تمّ فتح مرافق النادي لنشاطاتها، وهذا ما أكدّت عليه السيدة حياة الموسوي في كلمتها باتخاذ نادي الديه مقراً مؤقتاً لتنفيذ مشروع الخياطة والتفصيل، والتفاتة جميلة من إدارة الجمعية بتكريم نادي الديه من خلال تكريم مركز شباب الديه.

في حديثٍ على هامش الحفل مع السيدة حياة، تتذكر بداية التأسيس ومع غياب المقر قائلة: "كانت اللقاءات تُعقد في البيوت عصر كل يوم الخميس، حيث كان بيت اختي نجاة أحد البيوت التي كنا نلتقي فيها»، وتتذكر العضوات المؤسسات، رحم الله من رحلن منهن وخلّد ذكراهن الطيبة وما قدمنه للجمعية، وسبق لي ان كتبتُ مقالاً في ذكرى التأسيس وحديث مع السيدة نجاة الموسوي، وهي الأخرى عضو مؤسس للجمعية وأول رئيسة لها، وقتها تحدثت عن الدعم الذي حصلت عليه الجمعية عند التأسيس من جمعية أوال النسائية وجمعية نهضة فتاة البحرين.

رجوعاً للحفل الذي تميّز بالأجواء الحميمية وحضور للعنصر النسائي الشبابي وهذا مُفرح ويدعو للتفاؤل باستمرار مسيرة الجمعية. وتضمّن برنامج الحفل عدة فقرات، وهنا أتوقف مع كلمة راعية الحفل الأستاذة المربية الفاضلة زهرة مصطفى، السيدة القادمة من لبنان عام 1957، بلد الأرز، من إقليم الخروب في الشوف، وألقت الكلمة بالنيابة عنها إبنتها السيدة غادة المرزوق، حيث تقول الأستاذة زهرة مصطفى في مطلع كلمتها: «عندما طُلب مني أن أتحدث عن جمعية فتاة الريف، وجدتُ من الصعوبة أن أفصل بين بدء تعليم الفتاة والذي تزامن مع تدشين مدرسة جدحفص للبنات في العام 1958 والحديث عن تاريخ تأسيس هذه الجمعية، والذي جاء لضرورة حتمية لإكمال عملية تطوير المرأة في المنطقة حيثُ أُسست في العام 1972».

وتُضيف السيدة زهرة: «كنتُ من أوائل المباركات والداعمات لإنشاء الجمعية، وعندما أخبرتني السيدة نجاة عن رغبة مجموعة من الطالبات بذلك، لم نتردد كإدارة المدرسة في تقديم الدعم الممكن لانجاح أنشطة وفعاليات الجمعية ومنها مشروع محو الأمية لنساء المنطقة».

عندما تمّ تكريم السيدة زهرة ألقت كلمة ارتجالية. كانت تتكلم بحماسة. حيّت جمعية فتاة الريف.تكلمت عن أهمية تعليم المرأة وعملها، ولسان حالها يقول ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي:"الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق».

على يد السيدة زهرة مصطفى مديرة مدرسة جدحفص للبنات التي تم افتتاحها عام 1958، تربت أجيال من بنات المنطقة، وللتعريف بها مفيد الإطلاع على كتاب " قدر.. وسيرة كفاح" الذي ألفته إبنتها المهندسة غادة المرزوق.

كان الحفل جميلاً، حيث تضمّن برنامجه أيضاً عرضاً لفيلم عن الجمعية وأنشطتها ومقابلات مع عضوات الجمعية وذكرياتهن مع التأسيس، أما ختام الحفل فكان تكريم العضوات المؤسسات لهذه الجمعية العريقة والجهات الرسمية والأهلية الداعمة والأفراد المساندين للجمعية.

شكراً لإدارة الجمعية على الدعوة الكريمة لحضور الحفل وشكراً للتكريم وهذا يُسعدني كثيراً، فجمعية فتاة الريف تستحق منا الدعم، وكل الأماني لها بالمزيد من التقدم، بالرغم من وعورة الدرب.

بصراحة

# الرفيق يعقوب الجناحي
# فقيـــد الـــوطـــن والحـــــزب

عندما تكتب جزءاً من سيرة شخصيات مؤثرة وقادة ومناضلين رحلوا أو على قيد الحياة تتذكر مواقفهم وآراءهم، علاقاتهم بالمجتمع والناس .رأيته في صيف عام ١٩٧٧ في بغداد ولم ألتق به مباشرة في شقة طلبة البحرين في حي الأعظمية. كنتُ، يومها، في زيارة مع العائلة، وبعد أربعة أعوام، في العام ١٩٨١ التقيت به في پونا الهند حيث كنت أدرس هناك، كان قادماً من اجتماعا لمنظمة التضامن الأفرو آسيوي ومجلس السلم العالمي في العاصمة دلهي، عرفته باسمه الحزبي، الرفيق عزيز محمود.

فاضل الحليبي

كان شخصية حزبية قيادية صارمة، بعيداً عن شخصيته المرحة وابتسامته وحسن التعامل مع الآخرين، لسنوات لم أعرف اسمه الحقيقي يعقوب الجناحي، عندما نذهب لدمشق نلتقى به بعض الاحيان، وبعد عودتي إلى البحرين في سبتمبر من عام 1988.

ففي تسعينيات القرن الماضي كنت أزور سوريا ونلتقي به والرفاق هناك، حيث كانت محطة المنفى الأخيرة للعديد من المناضلين البحرينيين المنفيين، وبالأخص قادة الحركة الوطنية البحرينية وتحديداً في الجبهتين: التحرير والشعبية، قبل عودتهم إلى البحرين في فبراير من عام 2001، في ظل الانفراج السياسي آنذاك في مرحلة بداية ميثاق العمل الوطني، حيث كان الرفيق د.يعقوب الجناحي آخر من رجع من المنفيين، في إبريل 2001 قادماً من دمشق، بعد أن أمضى أربعين عاماً في المنفى من عام 1961 حتى عام 2001 ، لهذا أطلقَ عليه المناضل الراحل عبدالرحمن النعيمي لقب «شيخ المنفيين»، فهو بعد أن تمّ نفيه مع مجموعة من الرفاق القياديين والكوادر من جبهة التحرير الوطني البحرانية في عام 1961، وبعد أن عاش فترة في إيران وقطر، أصبح ضمن أول دفعة للطلبة البحرينيين مكونة من خمسة أشخاص تذهب إلى الدراسة في موسكو عاصمة الاتحاد السوفياتي، في جامعة باتريس لومومبا للصداقة، في نهاية عام 1962 وبداية عام 1963، مبتعثة من قبل جبهة التحرير الوطني البحرانية.

برز في موسكو في صفوف الطلبة، وأصبح شخصية قيادية في منظمة جبهة التحرير في موسكو ورئيس رابطة الطلبة البحرينيين الدارسيين في موسكو في منتصف ستينيات القرن الماضي. بعد التخرج وحصوله على شهادة الدكتوراة انتقل للعيش في بغداد ثم دمشق وعدن وصنعاء، وحين عاد إلى البحرين ساهم وقادة آخرون من جبهة التحرير مع أجيال متعددة من مناضلي الجبهة في تأسيس المنبر التقدمي في 12 يوليو من عام 2001، وأصبح عضواً في أول مجلس إدارة منتخب، لأول مرة ينشط المناضلون سياسياً وحزبياً في البحرين بصورة علنية، حيث انتقل جرى الانتقال من العمل السري إلى العمل العلني بعد السماح بتشكيل الجمعيات السياسية في البحرين، حيث متطلباته ومقتضياته تختلف عن العمل السري، والصعوبات التي واجهت من نشط في العمل السري، ففي العمل العلني تبرز المواقف والآراء من الرفاق والرفيقات بكل وضوح وشفافية، قد تتوافق وقد تتباين هكذا هي سيرورة العمل الحزبي وتعاطيه مع الواقع الملموس في ظرف العلنية، ولكن يبقى الحزب هو البوصلة السياسية التي يجب أن لا يحيد عنها.

كان فقيدنا أبو لطيفة يطرح آراءه ومواقفه السياسية ويعبر عنها وفق قناعاته سواء في مؤتمرات أو اجتماعات أو لقاءات داخلية للتقدمي، أو يعبر عنها في المقالات من خلال الصحافة المحلية بين الفينة والأخرى، قد تختلف أو تتفق معه فيما يكتب فهذا شيء آخر، على قاعدة التعدد والاختلاف في الآراء والمواقف، كما كانت مواقفه من القضية الفلسطينية واضحة ضد كافة أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني ويؤكد على حق الشعب الفلسطيني الشقيق في نيل حريته واستقلاله الوطني وإقامة دولته الوطنية المستقلة، وكذلك كان له موقف ضد التدخلات والاعتداءات على سوريا من قبل القوى الإرهابية المدعومة من بعض الانظمة العربية والإمبريالية العالمية، ويؤمن بحق الشعب السوري بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية، كان مناضلاً وطنياً وقومياً وأممياً .

له الذكرى الخالدة والمجد، وعزاؤنا لزوجته أم لطيفة، وابنته الدكتورة لطيفة وابنه المهندس محمد والعائلة الكريمة والرفاق وجميع محبيه .

(قف)

# ذكراك ستبقى حيّة في نفس كل من عرفك

فهد المضحكي

برحيل الرفيق المناضل د. يعقوب الجناحي فقدت الحركة الوطنية والتقدمية واحداً من رموزها الرواد الذين تركوا إرثاً نضالياً لا يزال راسخاً في الذاكرة الوطنية. كان الرفيق «أبولطيفة» نموذجاً للمناضلين الذين آمنوا بفكرة العدل والحرية، ولم يترددوا لحظة في النضال بكل شجاعة وتجرد من الذات من أجل وطن حر وشعب سعيد.

وعلى هذا النحو الذي يعكس الروح الوطنية المرتبطة بالتغيير والأمل والتمسك بالقيم الرفيعة التي تقدّمها الماركسية في الفكر والسلوك، كانت رؤيته الفكرية تتجلى بوضوح في رسوخ الهوية الفكرية، الماركسية ومنهجها الجدلي من جهة، وفي الانحياز الطبقي للكادحين والمضطهدين من جهة ثانية. وبهذا الوعي، كانت بوصلته في النضال لم تنحرف نحو شعارات قومية متزمته أويسارية متطرفة، وحارب كغيره من المناضلين الشرفاء الاستعمار والرجعية وأعداء الحرية والعقل، فكان بغير شك مثال للمناضل الطليعي بوفائه وأخلاقه الرفيعة ونكران الذات وتواضعه وتفانيه.

فعلا إن أصعب اللحظات أن تفقد رفيقاً مناضلاً صادقاً نقياً، مخلصاً للوطن والشعب. إنه الرجل الثمانيني الذي لم تهزه مغريات الحياة. عاش رحلة نضالية طويلة دون أن ينكسر أو يتراجع، يحلم بوطن يتسع للجميع، تحت مظلة العدل والمساواة بين أفراد المجتمع. كم كان حريصاً على تقدم الوطن، حرصاً يتعالى على الذاتية ويتجاوز كل الرؤى الضيقة والنفعية والإنتهازية، والزيف والإدعاء والغرور.

وعندما نتحدث عن الرفيق يعقوب، فإننا نتحدث عن الإنسان المثقف، المتجدد الذي ظلّ طيلة مسيرته النضالية شامخاً صامداً، منحازاً لكل الفقراء أينما كانوا. كانت حياته سلسلة متصلة من الكفاح السياسي والطبقي والايديولوجي مليئة بالتضحيات، وحب الوطن والجماهير الفقيرة، وكل شعوب العالم المهدورة إنسانيتها. كان واضحاً ومن دون إزدواجية، كما تفعل بعض النخب فيما يخص تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، والدفاع عنها ضد التهميش والقمع الذي تمارسه السلطة الذكورية، ونظم الاستبداد العربية، وقوى الظلام. في زمن ابتذلت فيه القومية باسم التمزق والاحتماء بالعدو باسم السلام والإنفتاح.

كان على قناعة أن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية، وهي قضية الشعوب العربية كلها وقضية أساسية لحركة التحرر العالمية بأسرها، لأن الصراع مع الصهيونية لم يعد أمراً فلسطينياً أو عربياً فقط، بل عالمياً كذلك، إذ تلعب الصهيونية دوراً متزايداً ضمن شبكة الأدوار والمصالح الإمبريالية، فالكيان العنصري الإسرائيلي الذي ينفذ المشاريع الامبريالية عبر تنفيذه مشروعه الخاص يشكل الخطر الأكبر على حركة التحرر الوطني العربية المناهضة للإمبريالية.

إن الكلمات لا تفي هذا المناضل الصلب حقّه لما كان يتمتع به من أخلاق وقيم وطنية وإنسانية وتواضع وعزيمة لاتلين، وإيمان عميق بعدالة المطالب والحقوق لكافة مكونات المجتمع. ذكراك ستبقى حية في نفس كل من عرفك.

# ورحل شقيق الروح ابو لطيفة الإنسان

د.شبر الوداعي

إنّ السيرة الطيّبة للأفراد وعلى الأخص من تكون لهم بصماتهم التاريخية في حياة البشر والجماعات على اختلاف واقعها ومراحلها التاريخية وأثرها في واقع الحياة الإنسانية للجماعات البشرية تظلّ حدثاً تاريخياً ثابتاً لا يختفي مع الرحيل بل هي رسالة إنسانية تبقى ثابتة في ملف الذكريات التاريخية ومدرسة إنسانية تنير مسيرة العمل الإنساني، هنا تتجسد شخصية وأعمال ومواقف شقيق الروح ابو لطيفة الإنسان الذي لم يرحل بل يظل شعاع نوره ينير ذكرياتنا التاريخية.

بدايات لقائنا مع شقيقنا الراحل كان في صيف 1977م ومنذ مقابلتنا الأولى والاستماع الى حديثه الممزوج بالروح المرحة التي تتميز بالبساطة وصفاء النفس والروح تبدي وتظهر عمق القيم الإنسانية في مكونه الشخصي والروحي وأكد ذلك التشخيص لمكونه الشخصي في مسيرة علاقتنا التي امتدت الى البحرين عندما غنمنا ثمرة المشروع الاصلاحي لجلالة ملك البلاد بالعودة الى أرض الوطن.

أن ثقافة الحرص الإنساني هي القيمة التي تميز بها شقيقنا الراحل في علاقاته وتجسد ذلك في إثراء من يتعامل معهم بالحكم الحياتية المتجسدة في توجيهاته بالاعتدال في العلاقة مع الآخرين ومعالجة المواقف بروية وحكمة والاهتمام بالتحصيل الدراسي، تلك المهمة التي دفعت عدداً من الطلبة بالتوجه الى الخارج لنيل التحصيل العلمي، والعمل في سياق ذلك ومد يد العون لمن تعثر في مشروعه الدراسي لأسباب التقصير وأخطاء شخصية وهناك من هؤلاء الذين تمكنوا من نيل شهادة التخرج والعودة إلى أرض الوطن والاستفادة من تحصيلهم العلمي في تبوء مراكز مهمة في سلم الكادر الوظيفي في البلاد.

العلاقة التي بنيت في مسيرة حياتنا الطلابية في خارج الوطن وبنت ثوابت العلاقة القويمة الممزوجة بروح الانتماء الى الأرض التي ابصرنا نور الحياة عليها تواصلت بكل حب الى هذه الأرض والحرص على تبادل المواقف والاراء وابتكار المفيد في دعم مسيرة القارب الوطني لتعزيز مسيرة المشروع الوطني للتنمية المستدامة ذلك ما تجسد في مقترحه للعمل على إنشاء جمعية بيئية تسهم في دعم الحراك البيئي الواعي، ذلك ما دفعنا في إعداد وثيقة تأسيس جمعية البحرين للبيئة التي ضمّت طيفاً من نشطاء العمل الاجتماعي البيئي.

ثقافة الحكمة والاعتدال الصفة التي تميز بها شقيقنا الراحل في مواقفه وظلت تلازم مسيرة حياته وهي الثقافة التي أكدت حضورها في الآراء التي كان يؤكدها في الندوات واللقاءات في المجالس الشعبية، وتلك هي الميزة التي تظل في ذاكرة الأفراد ويظلون يؤكدون على قيمتها في مسيرة العمل الاجتماعي والوطني.

الحقيقة كنت قريبًا من شخص شقيقنا الراحل وكان اخًا عزيزًا لم يبخل بتوجيهاته المليئة بالحكم التي غنمها في مسيرته الحياتية بمختلف منعطفاتها وتجلياتها التاريخية وتظل نبراساً تنير دروب الحياة وتنير تاريخ شقيقنا الراحل في مسيرة العمل الإنساني في بلادنا.

# أبا لطيفة في ذمة الله

الحياة رحله أشبه بالسياحة، لها بداية وخاتمة.. البداية فرح وابتهاج والخاتمة حزن وذكريات، هكذا الإنسان في هذه الحياة، وهي رحلة عابرة على كوكب في الكون لروح خالدة. صديقنا وأستاذنا الحبيب الدكتور يعقوب جناحي ختم رحلته في هذه الدنيا وارتحل بروحه، حيث تنتظره الأرواح، وودعنا ليبقى خالدًا في مملكة ذكرياتنا. في كل رحلة يرد الإنسان الحياة بمعدن وطينة خاصة به دون غيره وهي التي تشخص كيانه بين الناس، وأستاذنا أبا لطيفه كان معدنه الثقة الموزونة بالنفس، وطينته حب الناس وحب الخير للناس أجمعين، وهو بهذا المعدن الصافي والطينة الخصبة كانت روحه مسالمة تسعى إلى حل جميع أنواع القضايا والمسائل العالقة بِنَفَسٍ من السلم والوئام.

محمد كمال

لي ذكريات معه تعود إلى أواسط خمسينيات القرن الماضي ونحن نلعب في روضة الرفاع حول منطقة الحنينية والعتيجة (العتيقة)، وملعب الغولف ومنطقة المَحْرَقَةْ جنوبي الروضة الساحة التي كانت تستظل سدرة الحنينية كانت ملعبنا، ومرتع اللعب كنا نوسع في مساحته أحيانًا لتمتد إلى جبل الدخان، وكانت المتعة فوق الجبل بعلو الجبل.. ذكريات الصبى عندما يكون الإنسان خامة لم تَشُبْهُ معاناة الحياة وآمالها وآلامها، عندما يكون صفحة واضحة شفافة تنصع بالبراءة، هي تلك المرحلة التي تكشف عن معدن الإنسان وطينته.. عرفته في عمر الصبا، وعرفته بعد أربعين عامًا من فراغ الزمن، الحسن في كبره كالحسن والبراءة في صباه، مثل المعدن النفيس لا يتآكله تعاقب العمر ولا تقلب الاحوال ولا تبدل الأفكار، ولم يكن مثل الذي تعبث به دغدغت الغرائز وأمواج الهوى..

أربعون عامًا وهو بعيد عن روضة أرضه وحنين بيته، كان حينها يعاني من قضيته الجوهرية، وهي حب الخير للناس وهي رسالته الأولى في حياته التي كانت كلها معاناة يتحدّاها بالصبر والأمل، ورغم معاناته الوجدانية في أعماق ذاته إلا أن الحب المغروس في أعماق روحه كان يرسم ابتسامة دائمة على وجهه.. يتبسم وهو في ذروة المعاناة في لحظات التفكر والتأمل كانت ابتسامته تهدأ بفعل جدية التعمق في الفكر، ويستشعر المرء من تفكره، وإحلال الجدية الهادئة مكان الابتسامة الرحبة، إن ألمًا وجدانيًا يعتصرنفسه وهو يعمل بحكمته على تغليب العقل ترويض النفس، وإعادة البسمة على وجهه حتى لا تتمادى الجدية على جمال الابتسامة، وكأنّ البسمة حق للناس عليه.. ثلاث خصال اتسم بها، من مرحلة الصبا إلى حين سلّم أمانة الروح إلى بارئها، وهي الثقة الموزونة بالنفس وحب الخير للآخرين وروحه المسالمة..

بعد أربعين عامًا من فراغ الزمن بيننا، التقيته بدعوة كريمة منه في بيته العامر بكمال التواضع، وكانت الدعوة تشمل عددًا من الأصدقاء والمعارف، والتقينا بعدها في مناسبات عديدة، فوجدت فيه الخامة الطيبة نفسها والمعدن الصافي العصي على الصدئ نفسه والطينة الخصبة بالحب نفسها، مضافًا إلى كل هذا الجمال من الخصال روح حكيمة حبكتها خبرة الحياة.. هذا الرسم الحياتي والوجداني، المميز وذو الطابع النادر، لإنسان يمتد من مرحلة الصبا مرورًا بالكبر إلى لحظة الوداع الأخير، يعكس صورة واضحة لشجرة باسقة وارفة الظلال وافرة الثمار في رياض الحكمة، وبغيابه ووداعه الأخير لأهله وأبناء وطنه فإن الوطن قد فقد رمزًا من رموز الحكمة..

رحم الله أبا لطيفة رحمة واسعة، وبقلوب ملؤها الحزن والأسى نتقدم إلى عائلة جناحي الكريمة، بأح التعازي والمواساة، داعين المولى عز وجل أن يتغمّد الفقيد بواسع رحمته ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

# أبولطيفة
# أيقونة النضال والمنفى

خليل زينل

الموت يباغتنا والموت حق ولكن فقد الأحبة أمر مؤلم ومفجع للخسارة التي يشك~لها مناضل وطني وأممي بوزن الدكتور يعقوب يوسف الجناحي. ولد بولطيفة في المحرق أوائل أربعينيات القرن الماضي ودرس في مدارس المنامة. انخرط في الحياة العملية في ريعان شبابه كونه الأخ الأكبر لقلة الموارد التي تعين عائلته على العيش الكريم.

تأثر مبكرًا في نهاية الخمسينيات بأفكار القائد النقابي علي مدان والذي كان يعمل لدى شركة "أكمي" للإنشاءات ثم التحق لاحقًا بشركة نفط البحرين بابكو.. ولم يستمر طويلًا في بابكو حيث الأيادي الاستعمارية غيبته في السجون ثم تمّ إسقاط جنسيته ونفيه إلى خارج الوطن. استطاع المناضل يعقوب جناحي الوصول إلى قطر وحصل على شهادة الثانوية العامة ليلتحق عام 1963 بجامعة الصداقة بين الشعوب بموسكو ليتخرج بعد حوالي عقد من الزمن ويحصل على شهادة الدكتوراه في القانون الدولي من الاتحاد السوفيتي.

واقترن في تلك الفترة برفيقة عمره السيدة ثريا فريدون لتنجب لطيفة التي أصبحت دكتورة لاحقًا والمهندس محمد. خاض أبولطيفة غمار النشاط الوطني بكافة درجاته الطلابية والشبابية والسياسية والحقوقية مشاركًا في تأسيس رابطة طلبة البحرين في موسكو، وشارك في معظم مهرجانات الشباب والطلبة حاملًا مشعل الوعي التقدمي سفيرًا لشعب البحرين مطالبًا باستقلال البحرين من الهيمنة البريطانية وشركاتها الاحتكارية..

عُرف في الأنشطة التضامنية بين شعوب العالم ومنظمة التضامن الأفروآسيوي كمناضل أممي جسور تحت اسمه الحركي (عزيز محمود) وكذلك لاحقًا في منظمات حقوق الإنسان الرصينة قبل الإنهيار الكبير للمنظومة الاشتراكية ومنظماتها المتعددة قبل اختراقها وتحريف بعضها أو جلها..

عاش أبولطيفة غربةً دامت طويلًا متنقلًا بين مدن التيه العربية: بغداد في البداية ثم بيروت ثم عدن عروسة الجنوب بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ثم قافلًا إلى بيروت ليلقي بمرساة الغربة القاسية في دمشق مختتمًا مسيرة المنافي العربية مكابدًا مشقات الحياة الصعبة المتعددة. أبحر في سفينة النضال الوطني بمن عليها صوب الشتات الأوروبي/الأمريكي سادرًا لولا المشروع الإصلاحي لجلالة الملك والذي احتضن كافة أبنائه من الشتات.. وعاد إلى وطنه ليعمل مستشارًا قانونيًا في دائرة الإفتاء والتشريع القانوني قبل أن يتقاعد.. وبعد العودة نشط في مؤسسات المجتمع المدني مشاركًا أقرانه بأفكاره تحقيق الازدهار الاقتصادي وأمنيات التطور والتقدم الاجتماعي بعيدًا عن الطأفنة والطائفية وشارك بكتاباته في هذا الجهد الوطني.

# يعقوب جناحي
# رحلة نضال استثنائية

يوسف مكي

تعرفت عليه في خريف سنة 1977 شابًا في حدود الخامسة والثلاثين طويل القامة أنيق الهندام حليق الذقن والشارب مع نظارة رايبون وقد جاءنا بصحبة أحد الطلبة القدامي في سكنا بالبرامكة بدمشق وعرفه الطالب المرافق قائلًا هذا هو الرفيق عزيز، فرحبنا به ونحن بدورنا عرفنا أنفسنا بأسمائنا الصريحة ولم نكن نعرف حينها أن اسم عزيز مجرد اسم حركي وظللنا نتعامل معه لسنوات على هذا الأساس كلما التقيناه. فهو الرفيق عزيز.

منذ هذا اللقاء تعرفت عليه بأنه مناضل قديم من مناضلي بجهة التحرير الوطني البحرانية وأنه مقيم في الخارج منذ أيام الاستعمار وكان أحد ضحاياه وما أكثرهم. ولكنه تعامل مع المنفى الإجباري كأداء نضال من أجل قضايا الإنسان.

لم يكن الرفيق عزيز لصيقًا بشئون الطلاب، ويبدو أن مهمته كما حللت حينها برغم قلة خبرتي أنه مسئول العلاقات الخارجية في الجبهة وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بالدول الاشتراكية عمومًا والاتحاد السوفيتي خصوصًا وهو أحد خريجي هذا البلد الأوائل.

تكررت اللقاءات معه بين فترة وأخرى ودخلت معه في نقاشات مطولة حول الأوضاع العامة في البحرين وغير البحرين فوجدت فيه قامة سياسية مثقفة وعارفة بكل الأمور المنظورة وغير المنظورة كما اكتشفت فيه الروح المبدأية والهدوء والعقلانية في النقاش وطرح الأفكار دون فرض وجهة نظره. ومع كثرة اللقاءات فيما بيننا وجدت فيه شخصًا مؤمنًا بالاشتراكية على صعيد الفكر ولكنه أيضًا ليبرالي ومعتدل على صعيد الممارسة وحتى في حياته حيث لم يكن متزمتًا في أفعاله أو أقواله. بل كان أقرب إلى الديمقراطية الليبرالية من الاشتراكية.

في حدود ديسمبر سنة 1977 طلب مني مرافقته إلى القيادة القومية في دمشق فوافقت في الحال. فأن ترافق الرفيق عزيز بشخصه وكريزماته فهذا شيء جميل. رافقته وكان فيما يبدو سيناقش موضوع قبول الطلبة البحرينيين الذي تأخر كثيرًا هذه السنة لأسباب سياسية.

وبالفعل التقى بشخص من القيادة القومية يقال له عبدالخالق من أصل يمني ومن خلال النقاش فهمت أن مسألة قبولنا ستظهر عما قريب ومسألة وقت فقط.

أصبح الرفيق عزيز من أقرب الشخصيات القيادية التي التقيتها في الخارج فقد وجدت فيه شخصيتة متميزة على الصعيد الإنساني ويستطيع أن يفصل بين ما هو حزبي وما هو إنساني وأخلاقي فلا يخلط فناعاته بعلاقاته الإنسانية. وإذا خُيّر بين الاثنين فإنه يغلب العلاقات الإنسانية على الحزبية. وبعد عودته إلى الوطن في 2001 بعد أربعين عامًا من التيه التقيته عدة مرات فظل كما عرفته. هذا هو الرفيق عزيز، أو الدكتور يعقوب جناحي القامة الوطنية الذي ظل وفيًا لمبادئه، ولكن خسرته البحرين.

رحمه الله وألهم ذويه الصبر والسلوان.

# يعقوب الجناحي الإنسان وداعاً

رامي رشيد*

الأولاد الثلاثة "أحمد رامي" إبني البكر و"محمد يعقوب جناحي" و"محمد حبيب التومي" التونسي ابن الصحفي الذي كان يغطي الفعاليات العالمية الضخمة لصحيفة الأيام، كانوا يدرسون معاً منذ عام 2001 في مدرسة القضيبية الإبتدائية الإعدادية، وكنت أذهب بعد الظهر لإيصال ابني للبيت وكنا نلتقي وهي فرصة للحديث وكان معنا الأخوين الكبيرين "إبراهيم كمال الدين" و"سلمان كمال الدين"، يحضرون لإيصال أولادهم للبيوت أيضًا!

كم كانت لقاءات ممتعة ونحن ننتظر الأولاد، وكان ناظر المدرسة الأستاذ الفاضل "إبراهيم الجاسم" لعل اسمه صحيحًا وكان مدرس الرياضة آنذاك الأخ الجميل "غسان الساعاتي!".

كم كنت محظوظًا بهذه الهامات الوطنية العالية الباسقة الشامخة، وكان الأولاد يلتقون في بيوتنا بالتناوب وهي فرصة لتبادل الثقافات والخبرات، وكنا نتندر على ابننا محمد التومي لكشخته الدائمة فكان يقول هذه "لزوم الشياكة"!

أخي "يعقوب يوسف جناحي" عاد من منفاه مع المشروع الإصلاحي الكبير لجلالة الملك المعظم عام 2001 وسكن في القضيبية عمارة الموسكي وبعدها زرناه في بيته البسيط المتواضع في مدينة زايد وقدمت لنا واجب الضيافة أختنا "ثريا خنجي" رفيقة درب "يعقوب" وكان هناك شقيقها لعلي أتذكر اسمه "فريدون"!

أخي "بو محمد" يعقوب جناحي حقيقة كان معي ومع إسرتي دائمًا في السراء والضراء، كان معي في وفاة والدي عام 2006 وفي وفاة أشقائي الأصغر والأوسط أعوام 2009 و2019 على التوالي!

ولم يشاركني وفاة والدتي "أم الخير" لترسل لي كريمته الدكتورة "لطيفة" رسالة تطالبني فيها بالدعاء له لخضوعة لعمليتين عاليتا الخطورة في الدماغ للجلطة التي أصابته!

هذا الإنسان لا أستطيع أن أوفيه حقه، أدب وأخلاق ونزاهة ووطنية ومحبة للأهل والأصحاب والرفاق والأسرة . أنت "أبا محمد" مجبول بتراب هذا الوطن الغالي، هذا الحمى العربي الأصيل كما "أحمد الذوادي" و"عبدالرحمن النعيمي" و"عبدالله العباسي" و"سلمان زيمان".

أنتم أحببتم فلسطين وطني كما أحببتم البحرين، وسخرتم كل طاقاتكم لخدمتها، لكم المجد والخلود .

* كاتب فلسطيني مقيم في البحرين

# يعقوب الجناحي شيخ المنفيين

عباس هلال

أطلق عليه رفاق المنفى، شيخ المنفيين، رحم الله الصديق الرفيق الدكتور يعقوب جناحي، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته، وألهم أولاده وزوجته ثريا أم محمد وأهله وكافة الرفاق الصبر والسلوان، لم يكبروا الرفاق القادة والكوادر بقدر السنوات والشهور ولم يمرضوا بقدر السنوات والشهور ولكن كانوا كبارًا بنضالاتهم وتضحياتهم، معتصمين بقوة العزيمة والشكيمة والنضال الوطني القومي والأممي.

أجريت للمرحوم الدكتور عمليات جراحية كبيرة قبل ولاحقًا وأدخل العناية القصوى بفقدان الوعي هكذ قدر الرعيل الأول ومن بعدهم، ولم تكن الحركة الوطنية محظوظة برحيلهم في عنفوان البذل والعطاء، وشعلة الوهج السياسي.

عمل المرحوم الدكتور في مطلع شبابه المبكر بشركة بابكو مع دراسته المسائية، تم اعتقاله في عام 1961 لنهاية 1962 مع رفيقه المرحوم يوسف العجاجي ومحمد حسن.. تم ترحيله عبر البحر إلى بوشهر في إيران، انتقل بعدها مباشرة إلى الإمارات وأكمل الثانوية يونيو 1963 في قطر، إلتحق بجامعة الصداقة في موسكو نهاية 1963، كان من المؤسسين لرابطة طلبة البحرين، وكان من ضمن وفد الرابطة إلى المؤتمر التأسيسي للاتحاد الوطني لطلبة البحرين – دمشق – 15-25 فبراير 1972 مع المرحوم إسماعيل القصاب وجاسم خالد لكن مع وصوله مع جاسم خالد المطوع الى عمّان – الأردن من أحد المؤتمرات في أوربا الشرقية – وبدعم من لجنة التضامن إلى عمّان، أعادته السلطة الأردنية بنفس الطائرة إلى موسكو.

حاصل على شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة الصداقة ومتزوج من رفيقة دربه بنفس الجامعة ثريا عبد الكريم خنجي أم محمد، عاش في بغداد فترة بسيطة وتنقل بين بيروت وعدن واستقر في الشام في منتصف الثمانيات مع الرفاق عبدالرحمن النعيمي وعبدالنبي العكري وعبدالله الراشد البنعلي ومحمد المرباطي وأحمد الخياط وحميد عواجي وعبيد عبيدلي وأحمد عبيدلي (العبادلة متنقلين بين دمشق وعدن وقبرص ولندن) إلتحق مرة أخرى بهم أحمد الذوادي في 1987.

عـاد إلى البحرين في بـدايـة المشروع الإصلاحي في أبريل 2001 آخر المجموعة، بعد منفى 41 عامًا، عضو مؤسس في جمعية وعد والمنبر التقدمي وعضو مجلس إدارة المنبر الأولى برئاسة الأمين العام التاريخي للمنبر المرحوم أحمد الذوادي ورئيس لجنة الشؤون القانونية. عمل مستشارًا قانونيًا في دائرة الفتوى والتشريع إلى تقاعده.

عرفته في التسعينات خـلال زيـاراتـي المتكررة للشام وبيروت وفي البحرين نلتقي في صباحيات المنطقة الدبلوماسية مع زميله في الفتوى والتشريع خالد عبدالغفار في مقهى كوستا وبعد ذلك كنت ألتقي به ومع رفيقه التاريخي جاسم خالد مرات في منزله بمدينة زايد، وآخر لقاء بيننا في نهاية ديسمبر 2021 بمدينة زايد. صدر له كتاب متوسط الحجم عن أحداث 2011.

رحم الله الصديق الرفيق أبا محمد أبا لطيفة، مميزًا بابتسامته الدائمة وقامته الطويلة وسجاياه النبيلة.

يبقى خالدًا في ذاكرة الوطن ذاكرة المنافي، ذاكـرة النضال اليساري التقدمي خالدًا في ذاكرة أهله وأحبابه وكافة الرفاق.. خالدًا في ديار الحق.. في أعالي الجنان في رفادة رب كريم رحيم رحمان، وفي أعلى عليين.. آمين يارب العالمين.

# يعقوب الجناحي شريكنا في مبادرة "تواصل"

حسين مدن

في بداية عام 2012، تشكلت مجموعة من أبناء محافظة المنطقة الوسطى آنـذاك، باسم «تواصل»، وكان المرحوم الدكتور يعقوب جناحي أحد الأعضاء، في ظروف استثنائية ومناخات شديدة الحساسية والتعقيد، هدفها الرئيس هو تبني ونشر وإشاعة قيم وثقافة التسامح والاعتدال وترسيخ مفهوم المواطنة القائمة على الإيمان بالوحدة الوطنية، ونبذ الطائفية وكل ما يسيء أو يضرب النسيج الوطني، ودعمًا لجهود والبرامج والمبادرات الأهلية والتنموية لبلوغ هذا الهدف، وتطوير المجتمع وتعزيز اللحمة الوطنية.

لم تكن "تواصل" تجمعًا سياسيًا، وأعضائها من الطائفتين الكريمتين بصفتهم الشخصية، وهو لقاء وطني أهلي لمن له ذات الهواجس والأهداف والعمل الوطني المشترك.

وقد دشنت هذه المبادرة الأهلية عشرون شخصية من المحافظة الوسطى التي أصدرت أول بيان لها في أول فبراير 2012. في هذا البيان أكدت فيه على نبذ الفرقة والطائفية والدعوة لنشر التسامح. ومن الجدير بالذكر أن قائمة الأعضاء المؤسسين تحتوي على24 اسمًا، من مدينة عيسى والقرى المجاورة ومن ضمنهم جرداب.

المؤسسون هم: د. علي البقارة (المنسق العام)، وخالد عبدالغفار، ود. يعقوب جناحي، وأحمد جاسم العكبري، وخليل يوسف، وأحمد علي محمد، وعلي الحداد، وجمال دهنيم، وسيد علي ياسين، وصلاح أحمد عبد العزيز، وحسين مدن، وحسن جناحي، وعبد الرحمن محمد شفيع، ووليد خلف، وجليل عمر، وعبداللطيف عبدالخالق، وعادل المحميد، وعادل صادق البحارنة، وسعد الجزاف، وعبدالباري عباس الشهابي، وفـواز المناعي، ومريم الزياني، وإبراهيم علي الهاشمي، وعلي ادريس.

مقر لقاءاتهم كان في منازل بعض هؤلاء المؤسسين طوال فترة تأسيس اللجنة وما بعدها.

وقد قامت اللجنة، في عملها، بالاسترشاد بالعديد من المبادئ والأسس التي تضمنها القرآن الكريم وأقوال الرسول الأعظم، والقانون العام لليونسكو بشأن التسامح، وما تضمنه دستور البحرين في مادته الثامنة عشرة "الناس سواسية في الكرامة الإنسانية، ويتساوى المواطنون لدى القانون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس او الأصل أواللغة أو الدين او العقيدة".

رحمة الله على الدكتور جناحي وأسكنه الله جناته.

# يعقوب الجناحي

ننعَي إلى جماهير شعبنا الرجُلَ الّذي أَفْنى حياتَهُ في النضال؛ لأجل قَضايا الوطنِ وهموم الشعب. وهَا هوَ اليومُ يرحلُ ويتركُ بصماته الوطنيّة للأجيال القَادمة؛ لمتابعة المسيرة. أُقدّمُ لكمْ خالصَ العزاء بوفاة الفقيد المُناضل، ولرُفَقاءَ دربه الصَّبرُ والسّلوانُ.

عَهَدْنا المرحومَ صاحبَ مواقفَ وطنيَّةٍ مُعتدلةٍ، كما عَهَدْنا استقامَةَ سلوكهُ، وابتسامتَهُ الصادقَةَ.

كما كَانَ منْ رُوّاد الفكرِ المُتنوّع والمرن، الحريص على خَلْق الرّؤى النيرة التي تصبُّ في مصلَحَة الوطنِ، وتَخدمُ قضايَاهُ المَصيريّة، والبحرين –لاشكَّ– تَحتاجُ إليه، ولأمثاله منَ العَاملين المُخلصين.

وهُنَا لابُدّ لَنا منْ وقْفةٍ نَستَذكرُ فيهَا بَعضَ صَفاتِ الرَّاحلِ المُميّز يَعقوب جَناحي:

ففي الزَّمنِ الصَّعبِ يُفتَقَدُ الرجالُ، لكنَّ العزاءَ أنّ الرّاحلَ الكبيرَ تَركَ لَنا أَثَرًا كَبيرًا، وأُنمُوذَجًا منَ الإلتزامِ والنِّضالِ، والتَّراكُمِ الذّي أَضْحَى قُدْوةً يُحتَذَى بهَا.

وقَدْ تَسلّحَ بالعقيدَة والأَخْلاق والمُثُل، وكَانَ مثَالًا للْقَول والفعل والعَطاء، قَالَ كَلمتَهُ وَعَملَ عَملَهُ، عاشَ ومايزالُ شامخًا في بَلَده، وبَينَ رُفَقائه مرفُوعَ الرَّأس بالعزّة والكَرَامَة

نَعمْ إنَّهُ رجُلٌ قَلَّ نَظيرُهُ، فَقَدْ عَملَ بما يُؤْمنُ به في سَبيل قَضَايَا كانَ يُؤمنُ بأنَّها تُساوي وُجُودَهُ، حينَ حَملَ حُلْمَ الأَجْيالِ حتَّى يَومه الأَخير، فصَارَ اسمُهُ تَحيَّةً يتشرَّفُ بها جَميعُ الأهل والرِفاق.

رَحَمَه اللهُ فقَدْ كَانَ رَجُلًا عاشَ كُلَّ حَياتهُ وقفاتِ عزٍّ، ومَا تراجَعَ يَومًا عنْ إيمَانه بَقضيَّته، أو سَاومَ عَليها، وقَدْ عَرفتُ فيه منَ الصِّفاتِ الإنسانيَّةَ ما يجعلُ رحيلَهُ مؤلمًا، وذكْرَاهُ خالدةً.

خَسرتُ برحيل الأَخ والصّديق يعقوب جَناحي صَديقًا كَبيرًا وعَزيزًا، ولَهُ عندي وعندَ كُلِّ مُخلص المَقامُ الكَبيرُ لمواقفه الوطنيّة.

أَسْألُ اللهَ العَليّ القَديرَ أَنْ يُسكنَهُ فَسيحَ جنَانه، وَأَنْ يُلْهمَ أَهلَهُ وذَويه ومُحبّيه الصَّبرَ الجميل.

أَمْثالُ يعقوب جَناحي يحتَضنُهُم التَّاريخُ النِّضَاليُّ المُشَرِّفُ، ولا تَطْويهُمُ الصَّفحَاتُ، إنَّما تَبقَى سيرَتُهُ مُحَفِّزَةً للمُناضلين الوَطنيين الشُّرفاء حتَّى تَحقيق كَامل أهدافهم.

يَعقوبُ جَناحي قيمَةٌ أَخْلاقيَّةٌ كَبيرةٌ، التَزَمَ بقَضَايا الْوطَن وهُمُوم الشَّعْب، عاشَ كَبيرًا بمَواقعَ وبدُون مَواقعَ، وكَانَ ومازالَ رَمْزًا نَعتزّ به لَهذَا الجيل.

عَرفتُهُ الأَمينَ والصَّديقَ مُدّةً طَويْلَةً، كانَ فيهَا مثالًا للصّدْق والأَخْلاق، ومثالًا للتَّفاني في سَبيل الوَطن.

برحيل المُناضل يَعقُوب جَناحي يَخسَرُ المَنْبَرُ التَّقَدُّمِيُّ قَائدًا شَعْبيًّا، كانتْ لَهُ وقفَاتٌ مَعْرُوفَةٌ في مَيادين النِّضَال الوَطنيّ، حَيثُ خَاضَ المَعارك السِّياسيَّةَ والاجْتماعيّةَ وسوَاهَا برُوح وثَّابَة، ونَفسيَّة جَريئَة؛ فَاستَحَقَّ إعجَابَ ومَحبَّةَ رِفاقه ومُواطنيه

إنَّنا إذ نُعَزّي الأَهلَ والأَصْدقَاءَ برحيل المُناضل، ونَرَى أَنَّ نَهجَهُ الأَخْلاقيَّ وإخْلاصَهُ لشعبه وقَضيَّته سَيتْرُكَان أَبْلَغَ الأَثر في نُفُوس الشَّبَاب الذي يُكْبرُ في الرَّاحل الكَبير التزامَهُ السِّياسيّ وَشجَاعَتَهُ الأَدَبيَّةَ وأَخْلاقيَّتَهُ الرَّفيعَةَ.

سَتَظَلُّ ذكْرَاهُ حَيّةً في قُلُوبنا ، وسَوفَ نَفْتَقدُ سُنديانَةً جَبليَّةً عَتيقَةً لَمْ تَترُكْ مَوقعًا منْ مَواقع النِّضَال إلّا وخَاضَتْهُ.

كَانَ مثَالًا للمُناضل المُتواضع المُقدَام .

إنَّهُ مَدْرسَةُ عَطاء وفداء وتَضْحية. خَسرْنا زَميلَ دَرب وفكرًا نَيّرًا، وقَائدًا مقدَامًا قُربَانًا منْ قَرابين القَضيَّة . إنَّهُ قامةٌ وطنيّةٌ سَامقَةٌ، عَرفْتُهُ ليسَ كَالسِّياسيّين، بَلْ كَرجُل مَبادئَ، وقيم يُغَلِّفُها بدَمَاثته ووَدَاعَته.

رَحَمَكَ اللهُ وسَتَبقَى مُقيمًا في نُفُوسنا.

نَعمْ إنَّكَ رَجُلٌ منْ غَير هَذا الزَّمَن الرَّديء، لمْ نَعرفْ فيكَ إلّا صَلابَةَ الرَّأي والموقف، ودَمَاثَةَ الأَخْلاق ومَحبَّةَ الوَطنيَّة. تَغَمّدَكَ اللهُ في واسع رَحْمَته.

حسين الشويخ

# فلسفة الموت عند ابيقور

علمياً الموت هو حالة توقف الكائنات الحية نهائياً عن النمو والاستقلاب والنشاطات الوظيفية الحيوية، مثل التنفس والأكل والشرب والتفكير والحركة والمشاعر وجميع النشاطات الحيوية، ولا يمكن للأجساد الميتة أن ترجع لمزاولة النشاطات والوظائف الآنفة الذكر.

جلال إبراهيم

تاريخياً لا تكاد تخلو ديانة سماوية كانت أم أرضية، من الحديث عن الموت، ومعظمها يدّعي أنه يحمل إجابات أسئلته، والطريق الصحيحة لتجاوزه؛ فمن التحول إلى طير أو شجرة، إلى تناسخ الأرواح، وليس انتهاءً بحياةٍ أبديةٍ في الجنةً أو في عالم مثالي تتحقق فيه كل المتطلبات دون أدنى جهد، تم عبر العصور خَلق تصورات عديدة عن الحياة بعد الموت بكل ما تحمله من آمال للإنسان بالخلود.

ولذا فإن أساطير الأولين اعتنت بالموت، ولعلّ ملحمة جلجامش شهدت أول نص مسجلٍ وواضح، يدعو إلى البحث عن الخلود، ويندب الموت؛ً حيث يَسعى "جلجامش" للبحث عن الخلود في الطبيعة. ولعل المصريين القدماء، كانوا أول من تبنى فكرة استمرار الحياة بعد الموت، فقاموا بتحنيط ملوكهم، والحفاظ عليهم كأنهم أحياء (المومياء)، إيماناً منهم بأن للميت دوراً في الحياة الاجتماعية، وأنه يواصل هذا الدور في الحياة رغم موته.

حاولت الأساطير القديمة تخليد الإنسان بعد الموت إلى أن جاءت اليهودية واعتبرته عقاباً لا رجعة منه. حيثُ يبرر سفر التكوين ذلك "بظهور الموت كعقاب على ما ارتكبه آدم وحواء من خطيئة؛ إذ قام الله بإنزالهما إلى الأرض بعدما كانا خالدين في الجنة، ليعيشا في نعيم الحياة، لكن هذا النعيم، يظل محصوراً ومحدوداً، طالما العقاب الأبدي المتمثل بالموت دائم". وهنا يأتي دور الديانة المسيحية، في تجسيد اليأس والأمل على صورة إنسان؛ حيث إن المسيح عليه السلام بعد صلبه، وفق المعتقدات المسيحية، ويأس أتباعه والمعترفين بنبوته بسبب تعذيبه وموته، آمنوا أن المسيح عاد ليبث فيهم الأمل من خلال قيامه عن الصليب وبعثه من جديد. ويعد الموت في الإسلام، مجرد مرحلة انتقاليةٍ من الحياة إلى الآخرة، حيث يلاقي المؤمن الله، ويخاف الكافر من لقاء ربه، لكن المؤكد في الإسلام، أنّه لا يوجد انقطاعٌ عن الوجود بعد الموت، حيث تصعد الروح إلى السماء، ويدفن الجسد في القبر، إلى أن يُبعث في يوم القيامة.

أما فلسفة أبيقور فتؤكد على أن راحة البال، أو الطمأنينة، هي غاية الحياة، وأن اللذة والألم هُمَا أسُّ الخير والشر، وأن قيماً كالفضيلة والعدالة كلها مشتقة عنهما، لأنه "يستحيل أن تحيا حياةً سائغةً سارةً دون أن تحياها بحكمة وشرف وعدل، كما يستحيل أن تحيا بحكمة وشرف وعدل دون أن تنال حياةً سائغةً سارةً". أحد عوائق التمتع براحةً البالً، كما يُجادل أبيقور، هو الخوف من الموت، وهذا الخوف يفاقمه الاعتقاد الديني في إنك إن جلبت على نفسك غضب الآلهة، فسوف تُعاقب عقاباً جسيماً في الآخرة. ولكن بدلاً من أن يواجه هذا الخوف بتقديم حالة خلود بديلة، فإنه يحاول شرح طبيعة الموت في حد ذاتها. يبدأ بتقرير أنه حين نموت، فإننا لا ندرك موتنا، بما أن وعينا (روحنا) يكفُّ عن الوجود حين نموت.

الموت عند أبيقور هو نهاية الوعي، لذا لا يمكن أن يكون مؤلماً للشعور. والموت أيضاً هو نهاية الأحاسيس، لذا لا يمكن أن يكون مؤلماً للجسد. والخوف هو سبب تعاستنا، وخوفنا الأكبر هو الموت. لذلك إن استطعنا التغلب على خوفنا من الموت، أمكننا أن نكون سعداء. والسعادة عند أبيقور، هي هدف الحياة. ولكن ينبغي على البشر السلوك سلوكاً أخلاقيّاً، لأن السلوك اللاأخلاقي سيؤدي إلى تثقيل ضميرهم بالإحساس بالذنب ويمنعهم من الوصول إلى حالة الطمأنينة.

مذهب أبيقور الفلسفي في الأخلاق يُشير إلى أن اللذة غاية ما يريده الإنسان، فعليه أن يبحث عنها ويتجنب الألم. وقد أُسيء فهم قصده، فإنه لم يعنِ إشباع اللذة الشهوانية كما ظن معارضوه، ولكنه أراد باللذة امتناع الألم الجسماني وانتزاع القلق العقلي والروحي في الإنسان. فالسعادة لا تكمن في إشباع الشهوات، بقدر ما تكمن في قمع هذه الرغبات والوصول إلى حالة من الاستقلال في كل الظروف، مما يضمن سلام العقل، فلا يمكن لأعواز الحياة وتقلباتها أن تعكر صفوه. ولذلك تميزت حياة أبيقور بالبساطة والزهد، ومراعاة الأصدقاء بكل رفق، ولكن نظريته كانت كفيلة بخدمة أغراض الناس الأردياء لتبرير الإباحية والأنانية.

# ضد سيناريوهات يوم القيامة: ما العمل الآن؟

ترجمة:
غريب عوض

أُجريت هذه المقابلة مع John Bellamy Foster في أوائل شهر أكتوبر وظهرت لأول مرة في عدد نوفمبر 2021 من مجلة Irish Marxist Review تحت عنوان "حالة الطوارئ الكوكبية": ما العمل الآن؟ تم تكييفه للنشر هُنا.

John B. Foster:

كما قال ماركس، نحنُ مُرتبطون بالطبيعة ليس من خلال الإنتاج فقط، ولكن من خلال مفاهيم الجمال لدينا. وبالطبع، ينبغي أن يكون لدينا نوع من الإحساس الوِقائي "لحقوق الحيوان"، لمنع الإساءة إليها في مجتمع سِلعي رأسمالي. وبصرف النظر عن عبودية البشر، ليس هناك شيء أسوء من اختزال الحيوانات غير البشرية إلى مُجرد آلات بلا أرواح، كما فعل الفيلسوف الفرنسي Rene Descartes رينيه ديكارت. في الحقيقة، انتقد ماركس مُباشرةً فلسفة ديكارت الميكانيكية على خفضها مرتبة الحيوانات غير البشرية من مُساعدين للبشر، كما في العصور الوسطى، إلى مُجرد أشياء ميكانيكية للمجتمع البرجوازي. كما جادل أبيقور (وكرر ماركس)، علينا أن نعيش بطريقة تجعل العالم، أي الطبيعة، «صديقنا». إن مُحاولة مُعالجة كل هذا من منظور مفهوم بُرجوازي للحقوق تخلط الأمور، لأن القضية الحقيقية هي مدى وطبيعة مجتمعنا مع الأرض، مع الحيوانات غير البشرية، ومع بعضنا البعض.

(4) أياً كان ما قد يظنهُ المرء في موقفه الخاص الذي ينبع من وجهة نظر مفادها أننا يجب أن نكون مُستعدين الآن للنظر في استخدام جميع الوسائل اللازمة لإنقاذ الأرض كموطن للبشرية، فإن Malm قد قدم معروفاً للحركة في كيفية تفجير خط أنابيب نفط (عمل أكثر منطقية مما يوحي به عنوانه الأستفزازي)، من خلال إثارة بعض من اصعب القضايا الملموسة للتكتيكات والتشدُد. ويطلب منا Malm تحديداً، الإهتمام بكيف ستستجيب حركة المناخ لِعُنف الإبادة البيئية/قتل كل الوجود بأساليبها الخاصة، بما في ذلك التخريب والعُنف ضد المُتلكات. من الواضح إن المُفضل في هذه الحال هو الإحتجاج غير العنيف للجماهير. ومع ذلك، نحن نعيش ضمن الدولة الرأسمالية، التي تُعرفُ نفسها من خلال نظام قانوني مرجعي ذاتي، مُصَمَم لحماية وإضفاء الشرعية على النظام الإستغلالي القائم، وكما أكد Max Weber (عقد ونصف فقط قبل صعود النظام النازي)، يمنح لنفسه «احتكار الاستخدام المشروع للقوة». غالباً ما يستجيب لتهديدات لسُلطة قائمة عن طريق استخدام القوة والعُنف، من ضمنها – إن وجدت الضرورة للمحافظة على نظام المُلكيّة القائم – الأحكام العُرفية/حَالة الطوارئ والحرب الأمبريالية، والتي أصبحت اليوم دائمة. هناك جدلية عُنف في كيفية عمل النظام ومن خلاله يُشكّل نفسه.

التخريب sabotage (والتي هي كلمة مُشتقة من كلمة sabot الحذاء الخشبي الفرنسي، ومن العُمال الذين يلقون بالأحذية في الآلات) ستكون بالضرورة جزءاً من ثورة بيئية، وكذلك الهجمات على المُلكيّة الخاصة، بالنظر إلى أن مالكي وسائل الإنتاج (الأثرياء والشركات) يدمرون الأرض نفسها لتوسعة ممتلكاتهم المالية. يقتبس Malm من نيلسون مانديلا، في النضال ضد نظام الفصل العُنصري، الذي أعلن فيه: "لقد دعوتُ إلى احتجاج سلمي طالما كان فعالاً» «كتكتيك الذي ينبغي تركه حينما لم يعد نافعاً." يبدو أنهُ لا مفر منه، بالنسبة لي، مع تزايد المخاطر على البشرية، سيتخذ المزيد والمزيد من الناس هذا الموقف العام حتماً، مُدركين أن بقاء الإنسان (وكذلك حُرية الإنسان) يُمثل قضية. كيف يمكن أن يكون غير ذلك، إذا رفض النظام الإستجابة إلى حاجات الإنسان إلى درجة أن بقاء الإنسان يُصبح عرضة للخطر؟ أعتقد أن الكاتب Kim Stanley Robinson كان واقعياً تماماً في روايتهِ الأخيرة "وزارة للمستقبل" في جعل اللجوء إلى المُقاومة العنيفة من قِبل بعض المجموعات البيئية الثورية جزءاً من المزيج ومُساعدة الناس على وضع فهم مُتعاطف لسبب وكيفية حدوث ذلك، بينما لا يُدافَع عنها في الواقع.

أحد الأمثلة على التكتيك الذي أُؤيدهُ في الوقت الراهن هو تلك الخاصة بمفاتيح الصمامات في أمريكا الشمالية. في 11 تشرين الأول/أكتوبر عام 2016، قام خمسة من نُشطاء المناخ بإغلاق الصمامات على أربع من أنابيب النفط التي تحمل زيت رمال القُطران من كندا إلى الولايات المتحدة. تم إغلاق 15 في المائة كاملةً من واردات النفط الخام الأمريكية لمدة يوم واحد تقريباً. وللتأكد من عدم انتهاك سلامة العمال، تم إجراء مُكالمة للإستجابة الطارئة لكل شركة قبل حوالي خمس عشر دقيقة من دخول النُشطاء إلى المواقع، مما يمنح الشركات مُتسعاً من الوقت لإغلاق كلُ خط أنابيب. وُجِهَت إلى النُشطاء الخمسة اتهامات بإرتكاب جنايات، بما في ذلك التخرِيب الإجرامي. تولت الدفاع عنهم Lauren Regan، أحد أبرز محامي الحقوق البيئية والمدنية في الولايات المتحدة، بالإضافة إلى انها مؤلفه في الحقوق المدنية. اعتمدت المحامية Regan ومنظمتها، مجلس الدفاع عن الحريات المدنية، حيثُ أنا عضوٌ في المجلس الإستشاري للمنظمة، بنجاح كبير على استخدام دفاع الضرورة، الذي لم يتم استخدامه لسنوات عديدة في القانون الأمريكي، بحجة أن النُشطاء الخمسة لم يكن لديهم خيار، لأن أفعالهم لم تكمن ضرورية فحسب، بل كانت مُبَرَرَة أخلاقياً وقانونياً من أجل تجنب الأذى الكارثي للإنسانية وجميع أشكال الحياة على الأرض. رفض المحلفون عدة مرات إدانة النُشطاء الخمسة، موافقين مع دفاع الضرورة لديهم.

John and Owen: في رأيك، ما هي المطالب والأهداف والتكتيكات الفورية لحركة المناخ؟

John B. Foster: هذا سؤال كبير جداً. وبما أننا كنا نتحدث قبل قليل عن التكتيكات، فسوف أُركّز على المطالب والأهداف.

من الواضح أن الهدف، على الأقل، ينبغي أن يظل دون أل 1.5 درجة مئوية زيادة في متوسط درجات الحرارة العالمية حتى عام 2040، وهو السيناريو الأكثر تفاؤلاً للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ، والذي سيسمح بعد ذلك، كما هو مأمول، بالعودة إلى 1.4 درجة مئوية زيادة بحلول نهاية القرن أو في القرن المُقبل. هذا، كما تقول الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ في الجزء الثالث من تقريرها الذي تم تسريبه، يتطلب مواجهه حقيقة أن التغيير الهيكلي الأساسي في النظام الإجتماعي والإقتصادي الحالي ضروري وأن الرأسمالية كنظام ، "غير مُستدامة"، وهُنا، تستشهد الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ بشخصيات مثل Jason Hickel و Andreas Malm . إن الأمل الحقيقي الوحيد في السنوات القادمة التالية، يقترح "تقرير التخفيف" الذي تم تسريبه، هو استراتيجيات الطاقة المنخفضة، التي يمكن أن تُقلل من استخدام الطاقة بنسبة 40٪ في المائة، بينما تعمل في نفس الوقت على تحسين ظروف البشر. إنهُ هذا، وليست التكنولوجيا، التي لايمكن إدخالها الآن بالسرعة الكافية. (تُمثّل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح

بقلم: محرر مجلة
Monthly Review

7٪ في المائة فقط من إجمالي استهلاك الطاقة في جميع أنحاء العالم في الوقت الحاضر؛ لا يوجد التقاط الهواء المُباشر والطاقة الحيوية واحتجاز الكاربون وعزلِه على نطاق كافٍ مثل التقنيات الحالية؛ لا يمكن للطاقة النووية مع جميعِ المشاكل المُصاحِبة لها سد الفجوة، ولا ينبغي لها ذلك). يُخبرنا العِلم، أن الإنبعاثات السلبية، ضرورية على أسس تكميلية، إذا أردنا عدم الإخلال بميزانية المناخ، ولكن يمكن تحقيقِ ذلك عن طريق حراجة مُحسنة، وأساليب الزراعة والتُربة، مثل المحافظة على المادة العضوية في التُربة، دون الهندسة الجيولوجية. في الأساس، تحتاج البشرية إلى إنتقال سريع، ولايمكن أن يحدث هذا إلا من خلال التعبئة الذاتية للسُكان والتغييرات الأساسية في العلاقات الإجتماعية.

مهما كانت الطريقة التي ننظر بها إلى ذلك، هذا معناه ثورة بيئية، تؤثر على العلاقات الإجتماعية، على نطاق يتجاوز أي شيء شهدتهُ البشرية من قبل – وإلا لن تنجح. وكما قال ماركس، حينما تواجه مع مشاكل بيئية حادة في إيرلندا، إنها مسألة "دمار" أو ثورة". علاوة على ذلك، ينبغي أن يتم وضع العبأ في زمننا مبدئياً على الدول الغنية، نظراً لأنها هي التي استنفدت مُعظم ميزانية الكاربون العالمي، ولديها ثروة أعلى للفرد، وأعلى نصيب للفرد من استهلاك الطاقة، وأعلى بصمة كاربون للفرد، كما أنها احتكرت الكثير من التكنولوجيا. النظام الرأسمالي الأساسي في شمال الكُرة الأرضية هو المسؤول الأول عن مُعظم الزيادة في ثاني أكسيد الكربون المُتراكم في الغلاف الجوي مُنذُ الثورة الصناعية. اليوم، يتركز الجزء الأكبر من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في جميع أنحاء العالم في بضع مئات من الشركات العالمية والإنفاق العسكري. كُلُ هذا يؤكد أن البلدان الرأسمالية الغنية الواقعة في مركز النظام العالمي مَدينة بدين بيئي لبقية العالم. وبالتالي فأنه تتحمل المسؤولية الرئيسية عن حل المشكلة من خلال جعل اقتصاداتها أكثر إنسجاماً مع المُتوسط العالمي لإستهلاك الطاقة. وهذا يتطلّب مُخالفة منطق الرأسمالية من أجل إنقاذ الكوكب كمأوى آمن للبشرية.

الجزء الثالث من تقرير الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ الذي تم تسريبه يدعم صراحةً الإضرابات المناخية، والإنتقال العادل، والعدالة البيئية، والحركات الجماهيرية، وحِماية المُستضعفين و"التغيير التحويلي" الأساسي في المجتمع. يقول التقرير، إنهُ لا يمكن تشغيل مصانع جديدة تعمل بالطلاء من الآن فصاعداً؛ وأنهُ يجب القضاء على جميع المصانع الموجودة في غضون عقد من الزمن؛ يجب أن تُزال المرافق الرياضية؛ نحنُ بحاجة إلى "مُدُن جديدة" ليست مُحركات تدمير بيئي؛ يجب توسيع واسائل النقل العام؛ يجب إزالة خطوط الأنابيب؛ يجب أن يبقى الوقود الأحفوري تحت الأرض، والذي أصبح مُمكناً بفضل المسارات مُنخفضة الكربون. نظامنا للإنتاج والإستهلاك بكاملهِ يجب أن يتغيّر وللقيام بذك يجب على الناس تغييره، العمل ضد رغبة الشركات.

ومع ذلك، لم يعُد التخفيف بحد ذاتهِ كافياً، لأن الكارثة أصبحت على أعتابنا في الوقت الراهن، حتى لو كانَ لا يزال لدينا الوقت لتجنب نقطة اللاعودة إذا تصرفنا بشكل حاسم بما فيه الكفاية وعلى نطاق واسع بما يكفي. تحتاج البشرية إلى تخفيف المشكلة، أي، أن تمنع التسخين العالمي وأن تصل إلى صافي الصفر في انبعاثات الكربون بحلول عام 2050 (صافي الصفر مهم لأنهُ لم يعُد لدينا إمكانية تحقيق أهداف أقل من 1.5 درجة مئوية أو حتى 2 درجة مئوية بدون انبعثات سلبية). ولكننا نواجه أيضاً حقيقة أنهُ، حتى في أكثر السيناريوهات تفؤلاً، فإن الظروف المناخية سوف تسؤ في معظم هذا القرن. ينبغي علينا أن نتصرف من أجل حماية ما أسماه ماركس "سلسلة الأجيال البشرية"، إعادة تشكيل المجتمع على أساس اقتصادي اجتماعي – ليس من أجل المستقبل فحسب، ولكن الآن من أجل الحاضر أيضاً. يمكن أن يُساعد هذا قضية الثورة البيئية، يدفع الناس للقيام بالعمل.

John and Owen: كثيراً ما تقول، "الدمار أو الثورة". كيف ستبدو الثورة برأيك، وكيف يُمكننا ويجب علينا العمل نحو الثورة اليوم؟

John B. Foster: الثورة – كما قال المُنظر الثقافي Jacob Burckhardt في القرن التاسع عشر – هي "تسريع هائل للتاريخ". السبيل الوحيد لمُعالجة اضطراب الرأسمالية للدورات البيئية للكوكب هو مثل التسارع في التاريخ، حيثُ تتعبأ البشرية على أوسع نطاق مُمكن، على أساس بروليتاريا بيئية جديدة، تشمل مجموعة كاملة من الإحتياجات المادية (البيئية والأقتصادية، والإنتاجية والإنجابية)، والتي تهدف إلى التحول الجذري للعلاقات الإجتماعية القائمة وخلق إشتراكية المجتمع البيئي. يجب أن تحدث مثل هذهِ الحركات على مستوى عالمي وعلى مستويات عديدة، مع وجود انقسامات داخل النظام الحالي ليس فقط في القاع، بل وتكسير صرح السُلطة الطبقي بأكمله وهيمنته الأقتصادية السياسية، مما يُعبر عن أن هذهِ أزمة وجودية. ستحتاج في الوقت نفسه إلى أن تكون ثورة ثقافية وبيئية واجتماعية واقتصادية. في كتابي الصادر عام 1994 بعنوان "Vulnerable Planet الكوكب الضعيف"، جادلت في أنه التأثير الأقتصادي على الأرض بسبب الرأسمالية كان يتسارع لدرجة أن الاقتصاد الآن يُنافس الدورات البيئية للكوكب بأسرهِ. وفي الطبعة الثانية للكتاب، عام 1999، جادلت بأن الإجابة الوحيدة كانت أن نُسرّع التاريخ ونتجاوز نمط الإنتاج الحالي من خلال ثورة اجتماعية بيئية – حتى نتجاوز المجتمع التراكُمي للرأسمالية ونخلق مجتمع مع الأرض. وبقيت القضايا كما كانت، ولكننا نبتعد كثيراً في مسار الحديقة.

قد يبدو كل هذا طابواياً، لكن المعنى السلبي للطوباوية كحلم مِثالي، يُعبر عن المعنى اللاتيني الأصلي للا مكان الذي لعِب عليه توماس مور Thomas More، ليس له معنى حقيقي في عصرنا ولا يمكننا تحمل الخوض في مكان خيالي رهيب عندما يُخبرنا الإجماع العلمي العالمي أننا أما نجري تغييراً هيكلياً اجتماعياً جذرياً وسريعاً على أساس عالمي أو الحضارة الصناعية ومستقبل البشرية يتمُ سحقه. لايوجد سوى نضال بشري في بيئة قاسية بشكل مُتزايد، نتاج عصر في حقبة التأثير البشري. البيئة الكوكبية كَكُل تتغيّر بسرعة من حولنا نتيجة للنظام الذي أنشأناه وليس هناك ما هو ثابت. لن تنجو أي من مؤسساتنا الاجتماعية القائمة من الاتجاهات الحالية، والتي، إذا واصلنا المسار الحالي لفترة أطول خلال هذا القرن، فمن المؤكد تقريباً، كما يقترح الإجماع العلمي العالمي، أن نقضي على الحضارة الصناعية نفسها.

تقوم الرأسمالية بشكل سريع بإحداث تغييرات بيئية أدت بالفعل إلى تهديد الكوكب بإعتبارهِ مكاناً آمناً للبشرية خلال هذا القرن. وتدميرها الإبداعي الشهير يُقوّض الآن الأرض نفسها. لم يتبق خيار سوى الصورة البيئية، مما يعني ببساطة أن الشعوب، بأعدادها اللانهائية، ستضطر مرة أخرى إلى أخذ التاريخ بأيديها، في صِراع من المحتمل أن يكون عاصفاً وفوضوياً، ولكنهُ سيكون أيضاً إظهار القوة والإبداع اللامُتناهية للبشرية، مما يُوفر إمكانية نهضة بيئية جديدة. بالطبع، ليس هناك ضمان، بأننا في مثل هذا النِضال سننتصر. قال ماركس ذات مرة إنهُ لم يتم قَط القيام بأي مُحاولة لتغيير تاريخ العالم على اساس الضمانات المعصومة. كلُ ما نعرفهُ على وجه اليقين هو أنهُ مع رؤية أجيال كاملة أن مُستقبلهم قد سُرِق منهم، وأن وجود البشرية مُعرّض للخطر، فمن المُحتم أن يُقاوم مئات الملايين من الناس، إن لم يصِلوا إلى المليارات، مما يؤدي إلى ما سيحدث بلا شك، أن تكون أعظم سِلسلة من الثورات في التاريخ، تحدث في جميع أنحاء الكوكب. ويمكننا أن نرى هذا بالفعل في ثورة المُزارعين في الهند، وأضرابات المناخ المدرسية في أوروبا، والمعركة على (Standing Rock منطقة الهنود الحمر في شمال وجنوب ولاية داكوتا) في أمريكا الشمالية. يُشيرُ هذا إلى بروليتاريا بيئية جديدة، تستجيب للإحتياجات المادية التي هي على قدم المُساواة إقتصادية وبيئية وإنتاجية وتكاثرية. هُناك يكمن أملنا: خلق عصر جيولوجي (وتاريخي) جديد كامل للأرض، الشيوعية.

# العراق: نظام المحاصصة يفقد ثقة الجماهير وتغييره مطلب شعبي

بعد أقلّ من عام يدخل النظام السياسي الحالي عقده الثاني، ليكون معها العراقيون قد عاشوا أسوأ عقدين في حياتهم: فالبلاد تنزلق أكثر فأكثر نحو الهاوية في ظل المحاصصة الطائفية والصراع المتواصل على السلطة والنفوذ وتعدد الولاءات وغياب الاستقرار في كافة نواحي الحياة.

يقول مراقبون ومواطنون: إن العراق أصبح دولة فاشلة في ظل حكم القوى المتنفذة، وغير قادر على التعامل مع جيوش العاطلين والأرامل والفقراء والأميين الذين افرزتهم حكومات المحاصصة، فضلا عن تهديد الملايين من المواطنين بمستقبل مجهول وأمراض وآفات اجتماعية لا حصر لها. والحل هو بتغيير النهج كله، وأن يكون للقوى الوطنية دور حقيقي لإنقاذ البلاد مما هي عليه الآن.

### المتنفذون فوتوا الفرصة

ويقول محمد الجابري (استاذ جامعي): إن الفترة الحالية التي يعيشها العراق تعد "أكثر الفترات تعقيدا وفشلا في تاريخ العراق الحديث لأنها مرتبطة بجانبين؛ الأول متعلق بفشل القوى الحاكمة في الانتقال الحقيقي إلى المرحلة الديمقراطية، فهناك روح تعسفية ودكتاتورية ما زالت في نمط التفكير السياسي السائد، فضلا عن مشاكل القوانين الانتخابية واللاعدالة التي جرى تأسيسها. بينما الجانب الآخر الذي يعد خيبة أمل كبرى، فيتمثل بفشل القوى المتنفذة في بناء الدولة وغرقها في الفساد بعد تسلمها السلطة وادخال البلد في دوامة عنيفة. كما أن أسوأ نموذج لنظام المحاصصة هو ما ارتكبه بحق التعليم الأساسي، حيث توجد 14 ألفا و658 مدرسة: تسعة آلاف منها متضررة و800 طينية، وهناك حاجة إلى أكثر من 15 ألف مدرسة جديدة ما زالت قائمة وسط تجاهل مقيت للوضع التعليمي في البلاد، ناهيك عن مشاكل المناهج وغيرها من الملفات المتعلقة بهذا الجانب.

ويوضح الجابري لـ»طريق الشعب»، أن «الشعب يعيش مرحلة فشل لا مثيل لها؛ إذ أن هناك خللا في التعليم والأمن والخدمات والجانب الاقتصادي والواقع الصحي، وأن العراق ـ للأسف الشديد ـ أصبح يتصدر الدول الأكثر فساداً. كما ان الجواز العراقي يتذيل ترتيب الجوازات العالمي. كذلك العملة العراقية في تراجع. كما اعتبرت بغداد أسوأ مدينة للعيش عام 2021، ناهيك عن أن الكثير من دول العالم تحذر رعاياها من السفر إلى العراق».

ومع كل هذا يتساءل الأستاذ الجامعي: «أليست هذه أسبابا كافية لقلب نظام المحاصصة رأسا على عقب، وإيجاد البديل الذي يليق بالعراقيين، بعد سنوات مظلمة ودامية؟».

### أرقام مؤسفة

من جانبه، يرى الباحث في الشأن الاقتصادي، أحمد خضير، أن أرقاما لمنظمات دولية كثيرة تضع العراق في مواقف محرجة، لكنها هي حقائق مؤسفة لا تتعلق بالفشل الاقتصادي فحسب.

ويقول خضير لـ"طريق الشعب"، أنه وفقا لإحصائية أصدرتها منظمة "هيومن رايتس ووتش" عن أوضاع العراق بعد تغيير النظام الدكتاتوري، فإن "هناك أكثر من خمسة ملايين يتيم أعمارهم بين شهر إلى 17 عاماً، كما أن هناك 6 ملايين عراقي لا يجيدون القراءة والكتابة، وتشير أرقام أخرى داخل العراق الى أن نسبة الأميين أكثر، ناهيك عن بلوغ نسبة البطالة مستويات قياسية، دفعت جيوشا من الخريجين والعاطلين إلى التظاهر وافتراش الأرصفة".

أما بخصوص الوضع الاقتصادي للبلاد، فيذكر خضير ان «هناك حوالي 13 ألف معمل ومصنع ومؤسسة إنتاجية متوقفة، يقابلها تراجع في مساحة الأراضي المزروعة من 48 مليون دونم إلى 12 مليونا، ناهيك عن استيراد النسبة الأعظم من المواد الغذائية وغيرها».

### نموذج سياسي فاشل

أما الباحث في الشأن السياسي أحمد التميمي، فيرى أن القوى التي حكمت لقرابة عشرين عاما كانت أمام أولويات تجاهلتها كتحقيق الأمن وإصلاح وضع البلد بعد عقود من الدكتاتورية والتوجه نحو رسم سياسة اقتصادية ناضجة والشروع بالخدمات والبناء والاعمار، لكن هذا تعثر بسبب فساد المتنفذين وإضرارهم الهائل بالعملية السياسية التي كانت تجربة تستحق العناية.

ويبيّن التميمي لـ»طريق الشعب»، أن «العراقيين بعد العام 2003 أصبحوا منفتحين على العالم، وشاهدوا ما الذي حققته شعوب كثيرة من تحولات وتقدم وازدهار، بينما بقوا يتمنون تغير الحال، واعطوا الكثير من الفرص للقوى الحاكمة التي واصلت الفشل إلى أن أوصلت الرأي العام إلى قناعة مفادها بأن هذه القوى ليست مناسبة للحكم، وأن نظام المحاصصة لا يمكن أبداً أن ينتج شيئا مفيدا، ومن هنا انطلقت التظاهرات الكثيرة وصولا إلى انتفاضة تشرين التي جسدت ولخصت كل شيء».

الناشط في الاحتجاجات، محمد مازن، اشار إلى أن المطالبات السابقة كانت تؤكد ضرورة «إنهاء الصراعات السياسية وتغليب المصلحة العامة والأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة للبلد، لكن الآن المطاليب اختلفت، ولا يوجد إيمان شعبي بعمل ذلك من قبل القوى الحاكمة».

ويوضح مازن لـ»طريق الشعب»، أن «الأداء السياسي للمتنفذين فشل تماما أمام الجماهير بعد مرور عقدين مليئين بالويلات والمعاناة والفقر والتشتت الاجتماعي. إن الواقع الذي يعيشه العراق عنوانه الإدارة الفاشلة وغياب التخطيط والفساد وسرقة الأموال وعدم انسجام الطبقة السياسية بغياب خطابها الوطني وإخلاصها للشعب والوطن. إن هذا ما استنتجناه فعلا بعد تجربة الانتفاضة واقدام الكثير من القوى المتنفذة على قمع العراقيين بأبشع الطرق"، لافتا إلى أن "الحراك الحالي يبشر بخير، بعدما أصبح الكثير من المنتفضين والتنظيمات الرافضة للمحاصصة تفكر في العمل سوية وايجاد ارضية مشتركة، لأن التغيير يكون من هذه القوى حصرا، أما البقية فسيكونون خارج المعادلة، بسبب ما اقترفوه بحق الشعب».

«طريق الشعب» – 23 /7/ 2022

# أمريكا.. أوروبا والعولمة

اقترنتِ العولمة بالغرب حين نشْأتها، في مطالع تسعينات القرن الماضي، وتمدُّدِ مفاعيلها في العالم. الاقتران هذا طبيعي بالنظر إلى أنّ العولمة تترجم لحظة من التّطور متقدّمة، في ميادين الإنتاج والعلم والتّكنولوجيا، لم يَكن قد بَلَغها – في ذلك الإبّان – سوى دول الغرب التي قطعت أشواطاً في تنمية النظام الرّأسمالي فيها، وفي الذهاب فيه إلى الحدود الإمبرياليّة؛ حيث تركُّز الإنتاج، وقيام الاحتكارات الكبرى، وهيمنة رأس المال المالي من السمات التي تميّزها عما سبقها من رأسماليّة صناعية (رأسماليّة منافسة)؛ لذلك أطلقنا على العولمة – في دراسةٍ لنا في عام –١٩٩٣ وصفاً لها بما هي أعلى مراحل الإمبرياليّة.

عبدالإله بلقزيز

يمكن القول، إذن، ومن غير مُشَاحة أنّ العولمةَ بدأت في صورةِ فتحٍ علميّ وتكنولوجي غربي، وقدّمت نفسها إلى العالم في صورةِ بضاعةٍ غربيّة حصرية لا يُشاركُ الغربَ أحدٌ فيها. لكنّ الاستنتاج هذا – وهو عام وكُليّ – يدعونا إلى بعض التحديد والتمييز لئلا تضيعَ الحقائق العيانية في عمومه وإطلاقيّته، ومن أجل المُمايزة الضّروريّة بين سَهْم كلّ قوّةٍ غربية في تلك العولمة ومكانته في صناعتها.

ما من شكٍّ في أنّ الأمر، هنا، يتعلّق بتفاوُتٍ في الدّور والفعالية بين تلك الدول الكبرى التي يجْمعها تعبير الغرب؛ تفاوت لا يَقْبل التجاهل إنْ نحن أردنا أن نفهم كيف اشتغل نظام العولمة داخل الغرب نفسه، وكيف وزّعه إلى قوى ومناطق غير متكافئة. وهنا نُلفي أنفسنا أمام جملة من الحقائق الموضوعيّة والتّاريخيّة.

أوّلها، أنّ العولمة هي بالتعريف، منتوج أمريكيّ خالص أنتجَتْه سيرورة التقدم العلميّ والتّقانيّ في الولايات المتّحدة، وشُرع في تطبيقاته الأولى – التّكنولوجيّة والمعلوماتيّة – في الميدان العسكريّ (وبالذّات، في برنامج «حرب النّجوم» أو «مبادرة الدّفاع الاستراتيجيّ») قبل أن تنتقل إلى الميادين المدنيّة: من اقتصاد وخدْمات وإعلام وسواها. ومن هذا المهد الأمريكيّ انتقلت خبرةُ العولمة إلى بلدان الغرب الأخرى على التّوالي تبعاً لقدراتها ومَواطن التّأهيل فيها.

وثانيها، أنّ اليابان في مطالع التّسعينات – وهي من معسكر الغرب – كانت أُولى القوى الغربية تفاعلاً مع الموجات الأولى للعولمة وانخراطاً فيها، لسبب معلوم هو أنّها الأقوى، علميّاً وصناعيّاً وتكنولوجيّاً، في منظومة الغرب بعد الولايات المتّحدة (وهي ما برحت كذلك حتى بعد أن أصيبت بوهْن في الأعوام العشرين الأخيرة). أكثر من ذلك تحوّلت، سريعاً، إلى مركز من مراكز العولمة وقوّةٍ فيها ينافس دورُها الدّور الأمريكيّ.

وثالثها، أنّ أوروبا انخرطت في العولمة، وظلّت لفترة مستهلكة لمعطياتها التكنولوجية والرّقمية قبل أن تبدأ في إنتاجها هي الأخرى. ولأنّ أوروبا منظومة دول متعددة، كان التّفاوت بينها بيّناً في التّفاعل مع معطيات العولمة وتحدّياتها، بتفاوت مواردها العلميّة. كانت ألمانيا الأسبق والألمع، ثمّ لحقتها كلٌّ من بريطانيا وفرنسا قبل أن تبدأ بقيّة دول القارّة في الاندماج في هذه السيرورة. مع ذلك، ظلّت بلدان أوروبا تابعة لمصادر المعلومات

وللتّكنولوجيّات الأمريكيّة وللأطر العولميّة التي صاغتها أمريكا، أمّا ما استقلّت به أوروبا، في ما بعد، من أنظمة معلومات وإنتاج فلم يكن يخرج عن النّموذج الأمريكيّ، فبدا وكأنه يحاكيه.

من البيّن، إذن، أنّ عبارة الغرب الصّانع لظاهرة العولمة تخفي ما يعتمل داخله من تفاوتات صارخة في القدرات والإمكانيات. وهي تفاوتات ما كانت في حاجة إلى بزوغ العولمة كي تتبيّن وتنجلي، وإنّما لها تاريخ يمتدّ إلى ما قبل الحرب العالميّة الثّانيّة بقليل؛ حين بدأت الرّأسماليّة الأمريكية تُفصح عن تفوّقها الكاسح على سائر الرأسماليّات الغربيّة. وإذا كانت العولمة قد ساهمت في شيءٍ ما في هذا الباب، ففي أنّها ساعدت على تظهير ذلك التّفاوت إلى الحدّ الذي يبدو معه الغرب متعدّداً، أي متضمناً لعالمين فيه: شرقٌ غربيّ، هو أوروبا، وغربٌ له هو الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

ولقد بَدَت العولمة الغربيّة نفسها منطوية على ذينك العالمين: عالم المركز (الأمريكي) والأطراف الأوروبيّة. وبمقدار ما كانت أوروبا تابعة للولايات المتّحدة – تبعيّةَ أيّ هامش لمركزه – كانت، في الوقت عينِه، تتلقّى نتائج هيمنة أمريكا عليها على صعيد مصالحها الإقليميّة التي لحقها الكثير من الأضرار. ولم يحصل أن شهدت العلاقات الاقتصاديّة والتّجاريّة الأمريكيّة– الأوروبيّة مشكلات وأزمات، منذ قيام النّظام الدّوليّ في عام 1945، كما تشهد على ذلك منذ عشرين عاماً.

وهذا، في رأينا، منحى موضوعي للرّأسمالية في طورها العولمي؛ حيث ينتهي مبدأ المنافسة – على كثرة الحديث عنه في الخطاب الإيديولوجي – ويسود مبدأ داروينيّ اجتماعي هو مبدأ القوّة. لذلك ليس مستغرباً أنّ يكون الطّور العولميّ هذا هو عينُه طور رأسماليّة التّوحش.

# الكُتّاب وتحديات النشر والإنتشار

الكتابة هي نقش على ذاكرة التاريخ. محاورة البحر والماء والتراب والسماء. محاورةٌ لا تنتهي فهي علاقة عشق سرمدية، فالكاتب هو عاشق أبدي للأرض وللوطن وللناس وللحياة. فإذا سألت كاتبًا ما هي أولوياته، لقال لك ربما الكتابة قبل الخبز. فالكتابة تنفس، صلاة.

عبدالحميد القائد

هذه الجزيرة أنجبت أروع الكتّاب والشعراء منذ أزمنة طويلة، وما زالت هذه الأرض «ولاّدة»... قائمة طويلة من الكتّاب والشعراء يخرجون جيلاً بعد جيل محمّلين بالثمار الملونة والإبداع والخلق. انهم وجه هذا الوطن العظيم، انهم ذاكرته وتاريخه وقلاداته.. انهم صوت الوطن وأنفاسه المبدعة... انهم وروده الجميلة. كل العالم يحتفي بأدبائه وشعرائه ويكرمهم ويضعهم في أعلى القمم لأنهم يمثلون حضارة وثقافة وتاريخ البلد الحقيقي ،، انهم كالأهرامات الشامخة والشموس التي لا يمكن لأحد حجبها مهما تكاثف الغيم. في العصر الجاهلي مثلاً كان يكتبون قصائد الشعراء المرموقين بماء الذهب ويعلقونها في مكة لهذا سموّها بالمعلقات. هذه المعلقات ما زالت باقية في التاريخ والذاكرة الجمعية على الرغم من مرور القرون الطويلة.

عندما نذكر شكسبير او تي.اس.اليوت مثلاً نتذكر بريطانيا

عندما نذكر فيكتور هيجو او رامبو او سارتر نتذكر فرنسا

عندما نذكر لوركا نتذكر اسبانيا

عندما نذكر ديستوفيسكي او تولستوي او بوشكين او مكسيم جوركي نتذكر روسيا

عندما نذكر ارنست همينغواي نتذكر امريكا

عندما نذكر بدر شاكر السياب أو عبدالوهاب البياتي نتذكر العراق

عندما نتذكر طه حسين او العقاد او صلاح عبدالصبور او أمل دنقل نتذكر مصر

عندما نذكر عبدالله خليفة أو محمد عبدالملك أو قاسم حداد أو علي عبدالله خليفة أو أمين صالح أو حسن مدن نتذكر البحرين

نعم .... نحن نتذكر الشعراء والكتّاب أولاً ثم أوطانهم لأنهم هم الوطن الحقيقي .. انهم الصروح الشامخة التي تطاول العمارات وناطحات السحاب وتفوقها علواً وسمواً.

في البحرين لدينا قائمة طويلة من الأدباء والكتّاب والشعراء ولكن لا نقرأ لهم كثيراً ولا نجد نتاجات الكثير منهم على صفحات الصحف المحلية. كانت كل الصحف في السابق تفتح صفحاتها أمام الكتّاب بل وتدفع لهم مكافآت، على الرغم من تواضعها، لمن ينشر على صفحاتها الثقافية- ثم توقفوا عن استقبال المساهمات وعن الدفع أيضًا، باستثناء «أخبار الخليج» متذرعين بالأزمة المالية وكأن الشعر أو الأدب أمر هامشي. والكثير من رؤساء تحرير الصحف يضحكون ويقولون نحن لا ننشر الشعر أو الأدب فليس له قرّاء. طبعا الرياضة لها قرّاء. وهكذا ينشرون هذه الثقافة أو المفهوم البائس بقصد او بدون قصد ولأغراض تجارية أنانية بحتة. وما عادت الصحف تنشر أخبار الثقافة او تتناول الاهتمامات الثقافية المعاصرة أو تغطي الفعاليات الكثيرة في البلد بالشكل المطلوب وما عادت تعبر عن الوجه الحضاري لهذا البلد العريق الضارب جذوره في التاريخ... هذا البلد الذي كان دائما رائد الثقافة في الخليج وما زال كتّابه وشعراؤه هم الأكثر ابداعاً وحداثيةً، ووصلت شهرتهم الى معظم أنحاء الوطن العربي وبعض دول العالم. وأصبح معظم الكتّاب والشعراء البحرينيون ينشرون في المجلات الخليجية والعربية لضيق مساحة النشر في البلاد وعدم تقديرهم بالشكل المطلوب.

ويستثنى من كل ذلك مجلة «البحرين الثقافية» التي تصدرها هيئة الثقافة في البحرين التي ترحب بالجميع للكتابة فيها، غير أنها دورية تصدر كل ثلاثة أشهر و تستحق الشكر على ذلك. القضية في الواقع هي ليست قضية مادية والكتّاب والشعراء ليسوا ماديين يرتزقون من كتاباتهم بل إنها مسألة مبدأ ولا بد أن يكافأ الذين ينشرون على كتاباتهم، تقديراً لهم على جهودهم على الأقل حتى لو كانت المكافأة زهيدة المهم أن لا ينشروا بالمجان لأن هذا احتقار لهم وللثقافة ولا يستطيع الكاتب أن يهين نفسه ونتاجه الفكري او الثقافي. المعضلة الثانية التي بدأت تتفاقم هي قضية نشر الكتب، فالنشر تكلفته باهضة. تخيلوا معي أن تكلفة نشر رواية تتألف من 300 صفحة تقريبًا تكلف ما بين 800 الى 1000 دينار لدى دور النشر المعروفة ولعدد 500 نسخة وأحيانًا بدون تكلفة الشحن. والتكلفة الأقل يجدها الكاتب لدى بعض دور النشر الرخيصة ولكن الكاتب في هذه الحالة يساوم على مستوى الطباعة والتوزيع. فكيف يتحمل الكاتب هذه التكلفة الباهضة وبكم يبيع النسخة إذا علمنا أن أكثر المكتبات في البحرين تحتسب 50٪ عمولة على بيع الكتب وبعضها 40٪.

أنا شخصياً أكتب الكثير وأنشر معظم كتاباتي على الفيس بوك وبعض الدوريات الخليجية اضافة الى أخبار الخليج التي فتحت أمامي صفحاتها بكل محبة. والحق يقال بأن الصفحة الثقافية في أخبار الخليج هي الأكثر تنوعاً وغنى وترحب بالجميع للكتابة فيها وهذا موقف رائع يسجل لها على الرغم من تقليص الصفحتين الى صفحة واحدة.

لا بد هنا من التنويه بأن هيئة الثقافة والآثار ما زالت مستمرة في طباعة بعض نتاجات الكتّاب وهذه نقطة تحسب لها لأنها تخفف عنهم على الأقل بعض الأعباء المالية وتفتح أمامهم الآفاق وفرص الانتشار. ولكن بسبب ضغط الميزانية - كما يقولون - لا تستطيع الهيئة طباعة الكثير، ويتوجب على الكاتب الانتظار طويلًا ربما سنتين مثلا أو ربما أكثر. وفي الفترة الأخيرة اتجهت الهيئة الى طباعة الكتب محليا ولدى مطبعة محلية للاقتصاد في التكلفة بدلا عن الطباعة والنشر في بيروت مما يضيق على الكاتب حدود الإنتشار والتوزيع، لأن دور النشر العربية تقوم على الأقل بتوزيع الكتب خارجيا على الرغم من بعض المآخذ على دور النشر العربية.

وكانت هيئة والثقافة خلال سنوات عديدة تنظم مسابقة «الكتاب المتميز» لتشجيع الكتاب البحريني وتحفيز الكتاب والأدباء على الإبداع لكنها للأسف توقفت منذ عدة سنوات عن تنظيم هذه المسابقة لأسباب غير معروفة ولا يبدو بأنها سوف تعود الى سابق عهدها. كانت تلك المسابقة تشكل نوعا من الحافز وتقديراً بسيطاً للكتّاب على ابداعهم وجهودهم الخلاقة. إنني أتمنى من هيئة الثقافة أن تعيد النظر وإعادة تنظيم «مسابقة الكتاب المتميز» وأيضا أن تنظر بجدية في مسألة تفريغ الأدباء مثلما فعلت في الماضي مع عدد من الأدباء والشعراء لكي يتمكنوا من أن ينتجوا ويبدعوا بدلاً من أن يلهثوا وراء المتطلبات المعيشية التي أصبحت عبئاً لا يطاق لمعظم الكتّاب.

كل هذه الصعوبات هي أمور محبطة للكاتب وتزرع في نفسه اليأس من الإستمرار في الكتابة والإبداع. فلا يمكن للكاتب أن يستمر وجميع سبل الحياة الكريمة شبه مقفلة أمامه.

إنه من الضروري على الجهات المسئولة عن الثقافة أن تفكر جدياً في استحداث صندوق للأدباء والكتّاب والفنانين والمسرحيين لدعمهم وتشجيعهم إذا كانت جادة فعلا في دعم الحركة الثقافية والإبداعية في البلاد. إنني أعتقد بأن وجود تنظيم نقابي يجمع الأدباء والكتّاب ربما يكون حلًا ولو جزئيًا لدعم الكاتب عندما يجور الزمان. وهذا مطلب مثالي طبعا أرجو أن يتحقق.

كلنا نحلم، والحلم مسألة مشروعة أن تعود البحرين مثلما كانت طوال عقود ماضية مناراً للثقافة والإبداع ورائدة في الخليج وذلك لن يحدث إذا تركنا المبدعين بلا دعم حقيقي ودون اهتمام مثلما يحدث حالياً.

الصعوبات أمام الكتّاب في البحرين بايجاز:

ندرة فرص النشر في الصحافة المحلية.

صعوبة طباعة الكتب لأن التكلفة باهضة.

العمولات غير العادلة المحتسبة من قبل المكتبات على الكتب المباعة.

قلة الإقبال على شراء دواوين الشعر ونسبيا القصص والروايات.

عدم قيام المكتبات المحلية بعرض كتب المؤلفين البحرينيين في مكان بارز بل في الرفوف الخلفية التي لا يلاحظها أحد بحجة أن السوق هو الذي يحكم

توقف الهيئات الرسمية عن تنظيم المسابقات الأدبية مثل مسابقة الكتاب المتميز التي كانت تنظمها هيئة الثقافة منذ سنوات.

عدم وجود أي دعم يذكر للكاتب من قبل الدولة، علما بأن الهيئة منذ سنوات طويلة قد بادرت الى تفريغ بعض الأدباء والفنانين.

# «على مقهى الوجودية: الحرية والوجود وكوكتيلات المشمش»

على مقهى الوجودية. كتاب من النوع الذي تحلو قراءته كلما أوغلت فيه، وتكمن أهميته في أنه لا يعرض أفكارًا وحسب، بل يمنحنا صورةً بايوغرافية عن فلاسفة الوجودية الذين ساهموا في صعودها منذ عشرينات القرن العشرين وحتى سبعيناته: «هوسرل، هيدجر، سارتر، بوفوار، كامو، ميرلوبونتي، وغيرهم...» وبالتالي فأنت لا تقرأ فيه مجرد أفكار الفيلسوف، بل: الطفولة، التجارب العاطفية، والسياق الجيوسياسي الذي يعيش فيه: من حروب، ونكبات، وهجرات تصنع أفكاره».

أحمد السعيد

لقد كانت سارة باكويل ذكية في منهجها ذاك؛ باعتبار الوجودية فلسفة وصفية تنطلق من الواقع العيني أولًا وليس المجرّدات – أو على حد تعبير ميرلوبونتي: الحياة تصير أفكارًا، والأفكار تعود إلى الحياة. – فهي بالتالي تبدأ طريقها من تجربة الفرد مع الأشياء داعيةً إيّاه للتحرر قدر الإمكان من المسبق الجاهز، أو كما يقول هوسرل: الفلسفة تبدأ بالدهشة، والدهشة لا تبدأ إلا عندما نعلّق الحكم. ذلك الحكم الذي يأتيني من تجارب عينية سابقة، والتي تكون في أحيان كثيرة بمثابة حجاب يمنعني من النظر لحقيقة الأشياء. حين أبدأ بتعليق الحكم فقط يمكنني أن أتفلسف، أي أطرح الأسئلة، فأصف الأشياء وأعيشها كما أريد أنا «ندائي الداخلي» لا كما يريد الآخرون «الهُم» بحسب تعبير هيدجر.

جعل ذلك من الوجودية فلسفة رائدة، تُعنى بقضايا الهامش «الأقل حظًا»: النسوية، حقوق الشواذ والأقليات، تكسير الحواجز الطبقية، والكفاح ضد العنصرية والاستعمار. رغم ذلك، فهذا لا يعني أنك تقرر مع أي اتجاه ستكون وإلى الأبد، لأن العالم يغير من شكله دائمًا، وأنت في كل يوم أمام مسؤولية تُثقِل كاهلك، وهي مسؤولية حريتك وخياراتك التي تحدد فيها: اتماءَك إلى من، إلى أين، أو ربما إلى لا أحد كما عبّر كامو في موقفه على أعقاب الاحتلال الفرنسي للجزائر، حين قال: «الناس يزرعون الآن القنابل في عربات الترام في الجزائر، وأمي قد تكون في إحدى هذه العربات، وعلى افتراض أن هذا هو العدل، فساختار أمي».

قد يبدو هذا الموقف غريبًا ومحيرًا من مواطن ذي أصول جزائرية، إلا أنه واقعي مع فيلسوف يحمل قيمًا صعبة المنال، فلم يرَ في الوجود البشري إلا شؤما يكرر نفسه دون خلاص. وهذا الموقف الأخير هو ما جعل سارتر المتفائل والفعّال يزدريه ويتهكم من موقفه بعدما كانوا أصدقاءًا خُلَّص.

ما يميز الوجودية على سائر الفلسفات، أو على الأقل بالطريقة التي قدمتها سارة باكويل، هو أن مبادئها لا تقدم لنا طبقًا جاهزًا نغرف منه جميعًا ذات الطعام، بل يقدم فيها كل واحد نفسه بأصالة كما يجب أن تكون، فمنها المؤمن والملحد، المتفائل والمتشائم، الفاعل والمنسحب إلى أعماق ذاته، جاعلًا من موقفه ذاك أخير ما يمكن أن يفعله إنسان.

ترجمة: حُسام نايل

# الكاتب ومعاناة النشر

الحديث في هذه الأمسية سيكون عن طباعة الكتب والنشر وهو حديث موجع وينكأ الجروح ويرش عليهاالملح – كما يقال –، ورغم أني اعتبر نفسي محظوظة أني تعاملت مع دور نشر محترمة وعلى درجة من الوعي والصدق والحرفية و الجدية وقبل ذلك كان القائمين عليها من أصحاب الضمائر وممن يمتلكون التقدير لمعنى وقيمة العمل الأدبي، إلا أن ذلك لا يعني أني لم أشهد عن قرب ما تعرض له الكثير من زملائي الكُتاب على أيدي من سأطلق عليهم مجازاً تسمية عصابات «مافيا» النشر، وليعذرني أصحاب دور النشر الشرفاء منهم على ذلك ، فلم اعتد تسمية الأشياء والأمور إلا بواقع حالها .

شيماء الوطني

يمكنني بدايةً أن أصف عملية النشر بالرحلة الاستكشافية التي لن تستمتع بها ما لم تكن متهيئاً لكل الظروف التي قد تفاجئك وتعترض طريقك، ولن تتمكن من اجتيازها دون الرفقة الصالحة التي تعينك على مصاعبها، ودون أن تكون مطلعاً على خبايا عالمها وطرقها الوعرة !

كثيراً ما نتداول نحن الكُتاب الشكوى ما بيننا حول هموم وهواجس النشر، أكثر مما نتحدث عن عملية الكتابة ذاتها. وهذا في الحقيقة مما يؤسف؛ فحين يشغلك وعاء التقديم عن جودة ومذاق الطبق الذي ستقوم على طهيه فإن في الأمر مشكلة حقيقية !

في الواقع لا نستطيع إغفال أو إنكار أن عملية النشر ركيزة هامة من ركائز العمل الإبداعي التي لا تكتمل فصوله ما لم ينشر العمل ويصل بطريقة ما إلى القارئ وإلا فلا جدوى من العملية كلها، فمن وجهة نظري أن الكتابة التي تبقى حبيسة أدراج الكاتب هي كتابة أنانية وبخيلة وهي تشبه من يجري لقاءً حوارياً مع نفسه بين جدران أربعة، فلا يستفيد ولا يفيد منها أحد.

في البداية لابد أن أوضح نقطة مهمة بعيدة عما يجرى في عالمنا العربي، وهي الكيفية التي تعمل بها دور النشر الغربية والتي أجد فيها الكثير من الحرفية والاحترام والتكريم والتقدير للكاتب والكتاب والعملية الإبداعية بشكل عام.

في الغرب يقدم الكاتب عبر شخص «وسيط» يمتهن ما يسمى بمهنة «الوكيل»؛ فصل أو فصلين من كتابه إلى دور النشر، وما أن يتلقى الكاتب الموافقة على فكرة كتابه وموضوعه، حتى تبدأ المداولات والمفاوضات حول المبلغ الذي سيتلقاه الكاتب نظير كتابة الكتاب لا نشره – فتكاليف النشر والتوزيع ستتولاها دار النشر لا الكاتب –، ومتى ما تم التوافق على الشروط والمبلغ المالي، حينها فقط يشرع الكاتب في العمل وفق جدول زمني متفق عليه للانتهاء وتسليم مخطوط كتابه للنشر.وقد أكد على هذه العملية الروائي العراقي محسن الرملي في معرض حديثه عن روايته الأخيرة (بنت دجلة) حين ألتقيته مؤخراً.

هناك في الغرب الكاتب يكتب وقد تسلم قيمة أدبه وأجرة حبره ولن نكون مثاليين وندعي أن الكلمة لا تقدر بثمن لأن بعض الكُتاب لا يجدون ما يعتاشون منه بكرامة إلا بما يكتبونه بمقابل مادي، وليس في الأمر ما يعيب، ولكنه على أقل تقدير يضمن للكاتب التفرغ والعيش بصورة كريمة، وبراحة نفسية تجعله يصب خلاصة فكره فيما يكتبه دون أن يشغل باله بتوفير الخبز لعياله أو الاقتطاع من قوتهم من أجل الطباعة أو توزيع كتابه ونشره؛ وكل تلك الأمور ملهيات تشغل بالنا نحن الكُتاب في العالم العربي وتحملنا ما لا طاقة لنا به، وقد تؤدي بالبعض منا إلى ترك الكتابة غير نادمين على ذلك.

أستطيع من خلال ما سمعته من تجارب الكُتاب ومن خلال تجربتي الخاصة في النشر وهي تجربة بدأتها منذ عام 2014، وسبقها خوض تجربة متابعة نشر كتاب والدي رحمه الله في 2010، عبر وزارة الإعلام وكانت ايضاً تجربة لها خصوصيتها، أن أصنف الكُتاب إلى نوعين :

نوع كل ما يهمه هو أن تصل تجربته الإبداعية للقارئ أياً كانت المبالغ المالية التي يتكبدها، وعن رضا وطيب خاطر مؤمناً بأن ما يقدمه هو رسالة وشغف، دون اكتراث منه مستنداً على مقدرته المادية .

ونوع آخر يبدأ في إجراء حسابات مطولة للربح والخسارة من العملية مادياً ومعنوياً، ولا ننكر عليه ذلك فالمسألة ليست كما يقال (موت وخراب ديار)، فللكاتب حقه في أن يكتب وأن يتلقى ما يليق بالجهد الذي بذله وأيضاً هو نوع من التقدير لقيمته الأدبية. ويحضرني هنا موقف تعرضت له في إحدى المحاضرات التي قدمتها في إحدى المدارس الثانوية حين سألتني طالبة عن المردود المادي لما أكتبه، فأجبتها بعفوية: إن كان ما تتطلعين له من عملية الكتابة ينحصر في المردود المادي أو الشهرة فما عليك إلا أن تبدأي في مشروع لبيع (ورق عنب) على الانستغرام بدلاً من الكتابة، لا تقليلاً من شأن أصحاب المشاريع الصغيرة الذين أكن لهم كل الاحترام والتقدير، ولكن هذا هو الواقع المرير.

فبالنسبة للمردود المـادي فنحن حرفياً نصرف أضعافاً على ما نكتبه أكثر مما نربح مادياً، أما بالنسبة للشهرة فينطبق علينا فيها المثل الشعبي (الصيت ذايع والبطن جايع)، ولذلك كان الطُعم الأول الذي تضعه بعض دور النشر في شباكها لتوقع بالكُتاب هو: المغريات المادية والأسعار المخفضة.

عدد كبير من كتابنا مع الأسف يندفعون وراء اسماء لدور نشر غير معروفة تنبثق من العدم بين حين وحين فقط لأن أسعارها متدنية دون أن يضع هؤلاء الكتاب في بالهم مسألة (الموثوقية والأمانة، الإخراج الفني، سمعة الدار، الصدق في التعامل ولا حتى الانتشار والجدية في تسويق العمل الأدبي).

ومما يؤسف فإن كثيراً من دور النشر هذه الأيام ما هي إلا مكاتب لبيع الوهم والدجل، وما هي إلا متاجر للنصب والتدليس، هناك من يغريك بمبلغ قليل وما أن تقع في حبائله حتى تبدأ المبالغ المالية تتضخم وتتضاعف نظير خدمات قد تدفع ثمنها دون أن تُنفذ من الأساس.

ومن جملة هذه الخدمات (الغلاف، الخط، المراجعة اللغوية، الإخراج، نوع الورق، التوزيع، تكلفة الطباعة، الشحن، المشاركة في معارض خارجية، أوراق نقدية ،مقابلات وإعلانات حول الكتاب، والأدهى من ذلك هناك دور نشر جديدة باتت تبيع ما أطلقت عليه اسم (خدمات تحريرية) وما هو إلا عملية بيع لنصوص جاهزة لمن يرغب في أن يحوز على بريق لقب (كاتب) أو روائي!

وهنا فقط يصبح الكاتب الحقيقي ضحية مرتين، ضحية لدور نشر تستغله وضحية لمنافسة غير شريفة مع مدعيّ الإبداع الأدبي الذين يتكاثرون من العدم في المجتمع الأدبي كالفطر السام!

من خلال أحاديثي مع عدد غير قليل من الزملاء الذين وقعوا ضحية لمثل هذه الدور سأورد لكم بعض الحوادث المؤسفة التي وقعت:

دار نشر تتفق مع الكاتب على طباعة لنقل 100 نسخة من الكتاب نظير مبلغ ما؛ يدفعه الكاتب من جيبه في حين أن المبلغ الحقيقي لطباعة الكتاب هو نصف المبلغ المطلوب، وبدلاً من أن تُطبع الـ 100 نسخة المتفق عليها تطبع 100 إضافية تتملكها دار النشر لتتاجر بها لحسابها.

دور نشر أخرى تتلقى مبالغ نظير مواصفات معينة، تتغير في النهاية إلى مواصفات أدنى وبذات الثمن.

دور نشر تتلقى أجـور نظير توزيع الكتاب في معارض لا يُحمل إليها الكتاب ويبقى حبيس الصناديق الكارتونية، ومـؤخـراً حكى لنا بوجع أحـد الكُتاب السعوديين حكايته مع دار نشر أغلقت أبوابها وأرسلت كتبه في صناديق كارتونية مغلقة لم تفتح طوال أعوام طويلة كان يظن فيها أن كتابه قيد التوزيع في المعارض الخارجية.

أيضاً هناك من يدفع نظير خدمات مراجعة لا تُنفذ،

**بعض دور النشر ترفض حتى الإطلاع على العمل الأدبي إذا كان كاتبه لا يرقى لأن يكون ضمن «شلة» تلك الدور**

وأموال طائلة لشركات شحن باهظة بدلاً من شركات أخرى متوفرة بأقل الأثمان، ومبالغ لصور أغلفة تُسرق من الإنترنيت.

وشهدنا عدد من القضايا العلنية التي رُفعت على دور نشر عربية، ولكنها أُسقطت ببساطة بعد لجؤ أصحاب دور النشر إلى تغيير سجلها التجاري!

نجد دور نشر ترفض حتى الإطلاع على العمل الأدبي لأن اسم صاحبه لا يرقى أن يكون ضمن «شلة» كُتاب تلك الدار، أو أن للدار توجهاتها الأيديولوجية المخالفة لتوجهات الكاتب ولذلك تحرمه تلك الـدار من بركة التعاون معها ونشر كتبه.

شللية، محسوبية، وقلة اهتمام وكل ذلك لا يشير بأصابع الإتهام إلى دور النشر وحسب بل يضع الجهات الرسمية أيضاً تحت طائلة من يسلب الكاتب حقه في أن ينشر ما خطه قلمه بيسر وكرامة.

لنترك المشهد السوداوي الذي حدثتكم عنه جانباً، لنتفاءل ونرسم مشهداً آخر.

ها قد طُبع الكتاب، وتراقص قلب الكاتب فرحاً بعد وصول نسخ لا تتعدى العشرين إلى يديه بعد أن استولت دار النشر على بقية النسخ التي طُبعت على حسابه بحجة توزيعها ومنح الكاتب ما لا تتعدى نسبته 20٪ من أرباح البيع ـ وصدقوني لن يصل فلساً واحداً منها إلى جيب الكاتب!

لنبدأ المشهد؛ يظل الكاتب في حيرة كيف سيتصرف بنسخه العشرين هناك قائمة من المعارف والأصحاب والأهل تطالبه بنسخ مجانية كإهداء لن يقرأوه، ولديه رغبة في إهداء ناقد أو صحفي قد يتكرم ويشير إلى كتابه، ويرغب في إقامة حفل توقيع لن يجد له مكانًا ليقيمه، ويرغب في توزيعه في مكتبة محلية، وهنا تبدأ المعضلة كيف سيتصرف فما هي إلا مجرد عشرين نسخة!

يقرر أن يأخذها كلها إلى إحدى المكتبات المحلية، وهنا سيبدأ مشهد آخر لاستغلال الكاتب؛ حيث ستتكرم المكتبة بأخذ النسخ العشرين بعد أن تشاركه في أرباح بيعها بما لا يقل عن النصف، وعليه أن يكون ممتناً لذلك فهي قد تتكرم عليه بإعلان عن وصول كتابه ، وقد ترفع من سعره دون أن تعلمه ويكون فارق السعر من نصيبها، وقد تترك كتابه في زاوية مظلمة دون أن تصل إليها يد قارئ قد يفكر في شراءها، وربما ستحملها إلى أحد المعارض وقد لا تفعل !

هذه مشاهد بسيطة نمر أو مررنا بها ككتّاب، رسمتها لكم بشكل مقتضب وسريع، وتظلّ صورة مشهدية أخرى ترتسم في عقلي، أجدني ككاتبة أسبح في بحر غامض ومن حولي تحوم أسماك قرش مفترسة تنتظر الفرصة لتنقض على أطرافي، تنهش لحمي وتترك أشلائي تسبح في بركة من الماء المصطبغ بلون الدم.

# صناعة الوهم من حقيقتين

زهراء المنصور

**باسم النظام، يتم توليد الخوف...وبفعل الخوف، يتم فهم النظام نفسه.**

*ممدوح عدوان*

في مسرحية «ليلة القتلة»*، يصور الكاتب الكوبي خوزيه تريبانا ثلاثة إخوة قرروا الخروج عن السلطة الأبوية التي تضغط عليهم بشكل كبير، ولينتقموا من سيطرة الأب وتقاليد الأم التي تدفعهم للظهور كما يرغبون هم، لا كما يرغب الأبناء. لذا، تتجلى ثورة الأبناء في بعض التغييرات لثوابت صغيرة في البيت، لا تتم المواجهة بها، بل التنفيس بطريقة أخرى. وهذه الثورة لا تتعدى جدران الغرفة التي تحمل كل مرة أحلامهم في إعادة ترتيب مكونات البيت كما يرون؛ ذلك أنهم مقموعون طوال الوقت، حتى في أدنى درجات التعبير عن رغباتهم، أو هكذا يصورون لنا عبر الصورة التي ينقلونها!

ويبدو أن الكاتب مهتم بالعلاقة بين الآباء والأبناء، حيث قدّم – قبل هذا النص – نصين آخرين هما «ميديا في المرآة»، و«موت تاك»، اللذين عرض فيهما وجهة نظر الآباء، بينما ظهر في هذا النص يتكلم بصوت الأبناء – حسب رأي المترجم العشري(1) – مع أنه رأي قد يجانب الصواب، لو نظرنا إليه من زاوية مختلفة، لأن أي متلقٍ – حسب ما يشاهد – سيتعاطف يقيناً مع الأبناء، لأنه متوقع حسب ترتيب السلطة في أذهاننا جميعاً، وحسب الفكرة، أن القوي يبطش، ويقمع، ويمنع، ويسيطر. لكن، ماذا لو كان هؤلاء مصابين بجنون الارتياب «البارانويا»، وهم أبناء مدّعون، وكذبة، وملفقو تهم؟ ومن غير الوارد أن تخطر هذه الفكرة على بال متلقٍ يشهد أحداثاً مسرحية، من البداية وحتى النهاية، لأفعال تمثيلية تنفس عن القهر والظلم من «السلطة»، ولعل كل ما سيفعله هو التفكير في خلاص هؤلاء «المساكين»!

عبر قنوات تنقل العروض المسرحية عبر الأثير، هناك نسخ عديدة من «ليلة القتلة» قدّمت بطريقة أقرب لتنفيذ النص، لكنها هنا بإمضاء المخرج صبحي يوسف، الذي ارتأى أن يصنع شكلاً جديداً، بعد أن تمّ تقديم أول معالجة عربية لهذا النص بترجمة وتقديم وافٍ للدكتور فتحي العشري في عام 1979، والتي قدمت آنذاك على خشبة مسرح الطليعة، وهو نفس المسرح الذي يقدّم عليه العرض اليوم، مع رؤية مغايرة ومتقدمة. فقد قام يوسف بخلق نسخ مضاعفة من الشخصيات؛ إذ هناك ست شخصيات – ممثلان لكل شخصية – تدور في فلك القتلة؛ ذكران وأربع إناث، عمل المخرج على خلقهم بشكل يؤكد تكرار هذه المسألة عبر الأجيال، وتأكيدها، وتثبيتها، والتحقق منها، وبأنها مستمرة لا تتوقف.

وكما الكاتب المسرحي الفرنسي فعل جان جنيه في «الخادمات»، حين حشد بطلتي نصه في الحلم بالثأر من سيدتهما التي تسيء معاملتهما، فتقومان بالرد عن طريق الحلم برد الإهانة، عبر تبادل الأدوار في كل ليلة: السيدة والخادمة التي تنكّل بها كلما أمكنها ذلك. ودخول الخادمتين هنا، أو الأبناء الثلاثة في نص خوزيه تريبانا، في مسألة التقليد تدخل في التطهير الأرسطي Catharsis المعني بالتنفيس الوجداني، والإنفعال الذي يحرر من المشاعر السلبية للمتقمصين في النصين، وبالطبع للجمهور الذي يشعر بالخوف والشفقة، فيتحرر مما علق به. لذا تتطور طريقة تنفيس الأبناء بأن يقرروا قتل الوالدين، والقضاء على السلطة التي تضيق الخناق عليهم، وامتد بهم الحلم إلى تمثيل هذا القتل، والقبض عليهم متلبسين بهذا الجرم، ثم محاكمتهم. كل هذا يتم في ظروف نفسية وجسدية صعبة، حتى ينتهوا من هذه المهمة المرهقة، ويستسلمون، ثم في اليوم التالي تبدأ اللعبة مجدداً ومجدداً.

يهيئ المخرج المسرح لأن يحاصر جمهور العرض من جهتين مقفلتين، داخل سياج من الشرائط الصفراء "مجمد الأماكن"، التي توضع عادة في مسرح الجريمة، تحديداً لمكان وقوع الفعل. لذا، في الدخول الحذر للعرض، مع ترديد الممثلين الستة المتكرر جملاً مختلفة، مخصصة لكل منهم على حدة، جملاً متعلقة بأوامر أو تعليمات، كل جملة منها لا تحقق إفادة كاملة: "الصالون ليس صالون، الصالون هو حجرة النوم، الحجرة ليست حجرة، الحجرة هي الحمام، الحمام ليس الحمام، الحمام هو البستان، الزهرية تضع على الأرض وليس

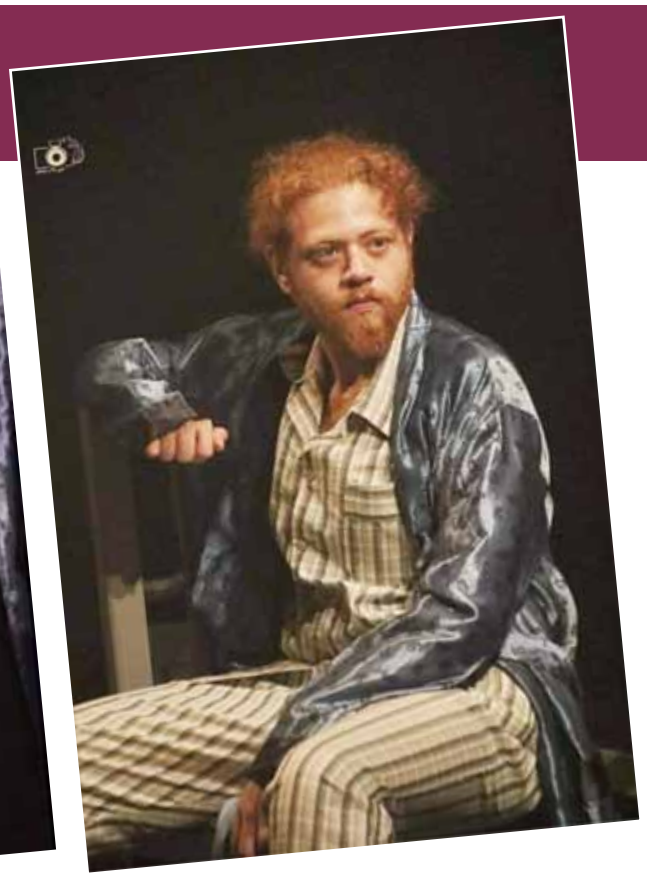

على المائدة ..."(2). لكن حزمة الجمل متجمعة تكوِّن صورة متعلقة بالسؤال: لم لا يحدث هذا التغيير "الصغير" المبتغى؟

أن تكون المزهرية على الأرض، أو طفاية السجائر على الكراسي، كلها أمور غير معتادة، لكنها ممكنة، والخروج عنها لا يعدّ مخالفة عظمى. لكنها في نظر هؤلاء الأبناء منتهى الثورة التي ولّدتها كثرة التعليمات والإرشادات والمحاذير التي ضيقت الخناق عليهم بما يكفي لأن يمارسوا تمثيلهم كل ليلة من أجل استرداد "كرامتهم" المسحوقة في هذا البيت. هذا الشعور سيمكن المتلقين من القفز بتلقائية على مشاهدة العرض بشكله المجرد، أي في حدود العلاقة العائلية الظاهرية. فموضوع السلطة سيسري على جميع أبعاد السلطة التي يشعر معها الفرد بذات الاختناق: فمن بعد سلطة العائلة، تأتي ربما سلطة مسؤول العمل المسيطر/ المجتمع المكون من أفراد يمارسون، مجتمعين، هذا الاضطهاد لبعضهم/ قمع بعض الحكومات المبالغ فيه، وغيرها من درجات السلطة والتحكم التي تحيل الفرد إلى شخص منتهك، وعديم الشخصية، ولا رأي له إلا ما يملى عليه، وعلى المتلقي أن يقيس بالعرض السلطة التي تخنقه هو شخصياً، وأيضاً أن يعيد النظر في مضمون تهمة الأبناء!

يترجم العرض هذا الصراع حين يصنع من المتفرجين جمهور حلبة مصارعة، ويورطهم في فرجة تشجيع أي فريق: الأبناء قليلي الحيلة – كما يُصورون لنا – أم الآباء المتسلطين الذين يمنّون على أبنائهم بأقل حقوقهم مقابل التحكم بهم وبمصيرهم – كما يصورون لنا أيضا!– ومن لالو الابن الذكر تحديداً الذي يحمل طول الوقت إحساس المهانة والتبعية لوالديه، لذلك لا يدخر فرصة لأن يعبر عن هذا في معرض تبريره لأختيه، عن أسباب عدم رضاه وغضبه طوال الوقت، فيحرِّض أختيه كلما هبط حماسهما للعبة، كوكا وببا، اللتين ترغبان في الإنسحاب عند أول فرصة متاحة، لأن ما تفعلانه متعب، ومؤذٍ نفسياً لهما. أما رأس التمرد، لالو، فيعبر في مضمون كلامه عن الأوامر التي تملى عليه حتى ينفذ من غير نقاش، وألا سيكون الطرد مصيره، في حين يقرّ بأنهم لم يعلموه ما يمكن أن ينفعه حين يغدو وحيداً ومطروداً! وهذا ما يعزز فكرة البارانويا.

وتعين سينوغرافيا العرض على فهم الحدث من خلال عناصر مرسومة بدقة، مثل الإضاءة التي لعبت دوراً مهماً في مساندة أفعال الشخصيات، وتغيير الأماكن بحرفية من خلال تشكيل الفضاء المسرحي مع بقية العناصر، وأيضاً التكوينات في المشاهد المتغيرة والمتلاحقة التي يبدل الممثلون فيها الاكسسوارات لتقمص شخصيات الوالدين والجيران، حيث يظلم جزء ويُضاء الآخر ليشهد الجمهور الحاضر، ويصوغ دلالات جديدة تؤكد أهمية التعامل مع هذه العناصر بتقنين مقصود من أجل توضيح حالة، وليس استعراضاً لبراعة التعامل مع حركة الممثلين مع ما يرافقهم من ضوء ولون وديكور وغيرها، وأيضاً ضرورة الرؤية الكلية بعين بصيرة للكتلة والفراغ.

أما بالنسبة للأزياء التي تأخذ على عاتقها إيصال جزء من علامات العرض للمتلقي، مثل الظرف والزمن والحالة وما حواليها، فلم تكن إلا مزيداً من الدخول في التكرار والتوحد مع الشخصيات المستنسخة من بعضها، التي تدعو لتسليم الأجيال بعضها نفس المبادئ التي استقوْها من المصدر سابقاً! زي موحد يشبه ملابس النوم المكونة من سروال وقميص مخططين يعبران عن الاعتياد والنمطية في الخطوط المستقيمة المتجاورة، ولكنها غير متصلة ببعضها، وهكذا نظل في دوائر هذه اللعبة دون أجل انتهاء، ليس بسبب تراجع في الفهم، بقدر ما هو استسلام، واستسهال الحلول الجاهزة المعدّة للاستهلاك.

ثم ماذا عن صورة العرض المعدّة للإعلان عنه؟ يتوسط لالو الصغير اللقطة بتعبير شقي مستفز، كأنه يريد أن يستحوذ على المشهد كله، كما في صميم شخصيته المتمردة. أما لالو الكبير، فيبدو أنه يأخذ شخصية الأب بتعبيره الجاد عن الجملة النمطية التي وردت في النص "عمري كله ضاع في تربيتكم وأنتم ولا أنتم هنا؛ تلاتين سنة على مكتب حقير تحت رجلين رؤسائي اللي هما مجرد شوية موظفين. مش عارف اشتري لنفسي بنطلون زي الناس، ولا حتة جزمة عدلة.."، وهي تقال بنفس المعنى في أشكال مختلفة لتذكير الأبناء بسبل النعم غير المقدرة التي يعيشون فيها! وتحاول ببا وكوكا –الصغيرتان والكبيرتان– أخذ وضعيات مختلفة تعبر عن حالة الدخول والخروج من شخصيات الآباء والأبناء بتناقضاتها، مما يؤدي إلى توليد الثورة والفوضى والجريمة، حتى لو حلموا بذلك ولم ينفذوه في وقتها، ستظل الجمرة متوقدة تحت الرماد حتى يحين ذلك الوقت.

ولولا ما وقع فيه المخرج من لفظة "إعداد" على منشورات العرض، لعمله المسرحي المتقن بعناصره، لما كانت هناك ملاحظات تذكر على "ليلة القتلة" سوى بعض الهنات التي تدخل ضمن وجهة نظر المخرج ورؤيته الإخراجية. ويبقى أن خيار الحقيقتين المؤكدتين التي انطلق منهما، وهما: فكرة المظلومية الأولى، والثورة، ثم الانتقام والقتل في "ليالي" الأبناء القتلة، وصوت الآباء الذي سمعناه من خلال أبنائهم، دون التيقن إن كانت هذه حقيقة أم محض خيال جامح عبّروا عنه تنكيلاً بما يتعرضون له من سلطة "محتملة" داخل البيت، خاصة أن السلطة، المتمثلة في الأم والأب، من الممكن أن تختلف على من يمسك بزمام الأمور في نهاية الأمر، وقد يسبب هذا الاختلاف شتاتاً لا قرب بعده. إذاً، فليلة القتلة مراجعة الذات لطرفي الصراع، وليس لأحدهما، وعلى سبيل ما يرميه العرض لمتلقيه، هو: على الآباء التخلي عن الطرق التقليدية القاتلة، وأن يفهم الأبناء أن كل ما يحصل هو لأنهم أهل استلموا نفس الإرث ممن سبقوهم، وكل ما فعلوه هو التعامل بما عوملوا به وحسب.

ليلة القتلة، خوزيه تريبيانا، ترجمة وتقديم: فتحي العشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

نفس المرجع السابق، ص25.

*مسرحية ليلة القتلة: تمثيل: إيميل شوقي، ياسر مجاهد، نشوى إسماعيل، مروج، لمياء جعفر، شيماء يسري. موسيقى وألحان: محمد حمدي رؤوف، أشعار: عوض بدوي، ديكور وأزياء: سماح نبيل، إضاءة: إبراهيم الفرن، مخرج منفذ: وليد الزرقاني.

## مُدُن المِلح (٥)

# المُنبت

في هذا الجزء من «مدن الملح» وهو الخامس والأخير والأصغر حجماً من بقية الأجزاء، يلقي عبدالرحمن منيف الضوء عبد الرّحمن منيف في بدايته على مغادرة السلطان الأسبق خريبط إلى مدينة بادن بادن بألمانيا في رحلة شهر عسل مع زوجته الجديدة إبنة الدكتور المحملجي (سلمى) وكيف كان استقبال طاقم السفارة له هناك مليئاً بالحفاوة والمرح، حيث هيئ له ولعائلته ومرافقيه الكُثر لهم فندقين، مقابل القصر الذي يعيش فيه السلطان، الذي كان مأخوذاً بجمال البلد الذي حلّ به، ويتمنى لو تكون موران بجمال المانيا.

حميد الملا

ولكن ما صدم السلطان بعد ذلك الأخبار التي وردت إليه من موران حيث تمّ عزله، وهنا يصف لنا مُنيف الحالة التي كان عليها: "والله، والله لوظل بعمري ساعة واحدة ما أتركهم ولا أخليهم يفرحون" .في الأثناء وبعد أسبوع وصل الدكتور المحملجي بعد أن تمّ طرده، حيث بدا متعباً مريضاً بعد الذي جرى ليروي للسلطان ما حصل في موران وكيف تمت إزاحته، ومن هم المتورطون في عملية الإنقلاب "لم يكد صاحب الجلالة يغادر موران حتى سوّلت للبعض نفوسهم المريضة الإصطياد في الماء العكر والتآمر تحت جنح الظلام". الحالة النفسية التي يعيشها السلطان المعزول جعلته لا يثق في أحد، فتحدث عن الزمان وغدره وخياناته،عن الأصحاب وتخليهم،عن الأخوة وكيف تغيروا، وعن الناس وكيف إنهم يقفون مع القوي، وبأسى صار يردد بيت من الشعر: "وظلم ذوي القربى أشد مضاضة/ على النفس من وقع الحسام المهند".

أما المحملجي وبعد أن غرق في حزنه فقد "دارت به الدنيا،غامت ثم اسودّت، اضطربت ثم عصفت. أصبح صغيراً مسحوقاً، ذرة رمل في ريح، شيئاً لا وزن له ولاقيمة". في هذا الجزء من الخماسية يجول بنا المؤلف في أعماق الوضع الحاصل بعد تنحية السلطان خزعل عن الحكم ومكوثه في بادن بادن والمشاكل والإشكالات التي تحدث مع مرافقيه وزواره، وعند وصول زوجته الأميرة عدلة والتي أصبحت امرأة أخرى وعدد من أولاده خلق ذلك وضعاً جديداً للسلطان، وبوصولها كان حريصاً على معرفة أدق التفاصيل ومعرفة موقف كل فرد من تلك الأحداث التي هزت عرشه، إلا أن تلك الزوجة أتت وفي رأسها خطة تطليق السلطان من زوجته الجديدة بنت المحملجي وإبعاد عائلتها عن السلطان، وهذا ما قامت به فعلاً بعد أن صدّق السلطان كل ما يقال له عن الحكيم وعن إبنته سلمى.

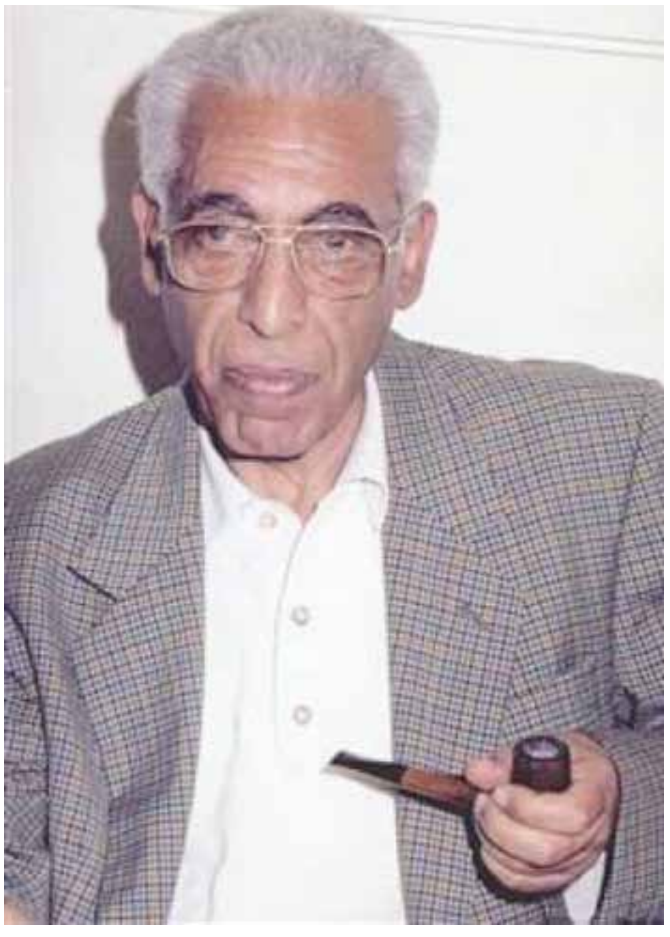

وبتلك الصورة التي رسمها المؤلف في هذا الجزء من الرواية عن المحملجي سار حتى النهاية في وصف الاحداث التي تلت تطليق إبنته وأثر ذلك على العائلة وما نتج عنه من مرض، فظلّ الشك يلازمه حول طبيعة الناس وسلوكهم: "الظلمة تتسلل بخفاء ثم تتكاثف، ومع الظلمة يظلم قلب الحكيم أيضاً، كان يشعر بانقباض إلى درجة الكآبة". يواصل المؤلف في معالجة الاحداث التي مرت على الحكيم

بعد طلاق إبنته وارتحاله معها إلى فندق ستراسبورغ في جنيف بسويسرا وكيف أصبح يعيش حالة من الخوف والقلق من أن يلاحقه أحد من جماعة السلطان الجديد فنر، فظل متوجساً، مهموماً، حتى صار يخاف الرجوع لفندقه، ويغيّر الطريق والإتجاه: "عليه أن لا يدخل في أزقة جانبية أو مظلمة، لأن القتلة يخافون الأضواء والبشر. فأخذ يتخفى ويغير عاداته وأماكن تواجده، حتى إنه أخذ يغير شكله فحلق لحيته، فما أن يطلب المصعد حتى ينزل بالدرج، ظلّ فريسة لهذا الخوف طويلا، فقد الأمان والراحة والإستقرار النفسي. وزاد من هذا الوضع إبتعاد عائلته عنه، إبنه غزوان وزوجته وداد، كل ذلك جعل من مصيره مجهولاً.

"يرتجف الحكيم، تمرّ الصور في رأسه، فتخرج الكلمات من بين أسنانه"، فغزوان الذي رتب أموره جيداً وأصبح لا يُستغنى عنه لدوره في ترتيب الصفقات لم يعد له الوقت الكافي لمراعاة والده، ووداد إنشغلت بإدارة الأملاك التي تركها الحكيم في موران. وبعد أن اشترى الحكيم قصراً في نيون بسويسرا وأطلق عليه قصر(الخير الأوربي)وسكن هو وإبنته سلمى فيه، زادت همومه وهواجسه"، وبدأ يفكر في حياته كلها، يستعرضها، بكل تفاصيلها، من جديد، فلا يعرف أين أخطأ أو كيف".

صورة أخرى يركز عليها عبدالرحمن منيف هي سلمى إبنت المحملجي؛ كيف دخلت القصر بعد تزويجها وهي صغيرة عنوة بالسلطان المخلوع وكيف خرجت من القصر مكسورة دون أن تحمل معها أي شيء بعد أن اعتبرت شؤماً وقدماً سوداء، وربما تسببت فيما وقع في موران. تتابعت الأحداث وتشعبت، ولكن ظلّ الوصف الدقيق للمؤلف لأحوال من بقوا بعيدين عن موران في بادن بادن في المانيا مشوقاً وذا أبعاد عميقة، فلكل شخصية من تلك الشخصيات هموم ومشاكل وأفكار استطاع منيف أن يربطها ببعضها ربطاً محكماً، بدلالات سياسية.

في هذا الجزء من الخماسية زاوج المؤلف أيضاً بين الشخصيات المتعددة وشخصيات أجنبية سواء أمريكية أو المانية، وأضاف بذلك عنصراً مهماً؛ ألا وهو تداخل الوطني مع الأجنبي ومدى تطابق أو تنافر المصالح بين الطرفين أو مجموع تلك الأطراف، فحتى الأمور التي لا ترد على البال قام عبد الرّحمن منيف ببحثها وتسليط الأضواء عليها كطلب السلطات الألمانية صوراً شمسية، واحضار مصور لكي يقوم بتصوير النساء وكيف كان ذلك المصور وأدوات التصوير،وانشغال من في القصر بالمصور. إنه يوم حافل ظل الكثيرون، بل الجميع، يتذكرونه، حتى بعد المآسي التي وقعت في وقت لاحق".

لم ينس الكاتب حتى أحوال الخيول التي وصلت بادن بادن كتعبير عن المودة للسلطان خزعل، "فقد وصلت كوكبة من الخيول العربية الأصيلة: اثنان هدية من فنر، واثنان هدية من مهيد ومزعل، وثلاثة من قصر الخالدية، تلك الخيول التي لم تتأقلم مع الأجواء الباردة فكانت ضعيفة وحزينة، حركتها بطيئة، غير متوازنة"، عيونها مليئة بالحزن والعذاب، أما استجابتها للأكل والصفير، أو للمداعبة فكانت في حدها الأدنى، أو أقل من ذلك".

وفي الصفحات الأخيرة هذا الجزء من خماسية "مدن الملح" يتطرق المؤلف إلى ما آلت اليه العلاقة بين الأخوة الأمراء، والسبب وراء سفر زوجات السلطان من بادن بادن ورجوعهم إلى موران بعد أن رتبوا للسلطان عروساً جديدة (ياسمين) شبيهة بسلمى من حيث العمر، وبياض البشرة، والهدايا التي رافقت العروس، وكان ذلك بمثابة خلق وضع جديد للسلطان المخلوع مقابل سكوته وكأنما يهيئ له من أن بقاؤه سيطول دون أمل في الرجعة لموران، فأصبحت العودة مستحيلة والأمل بدأ يخبو والصحة تتدنى من يوم لآخر وأصبحت الحياة تضيق به وتيقن بأن معركته خاسرة.

كل تلك الأحداث أثرت في صحته، فألمّ به المرض وأسلم الروح، فعمّ الحزن والذهول نزلاء القصر وأفراد الحاشية والحرس، بعدها بدأت الاتصالات لنقل الجثمان، فوصلت طائرة من موران، كانت هي نفس الطائرة التي حملته إلى المانيا: "نقل الجثمان بسرعة، وسافر على نفس الطائرة نزلاء القصر وأفراد الحرس والحاشية."

في خماسيته هذه، غطى عبد الرّحمن مُنيف مرحلة طويلة من أحداث الجزيرة العربية، ووضع تصوراً واضح المعالم بنى عليه روايته، وعرف كيف يبرز تلك الأحداث بأسلوب قلّ نظيره، بحيث جعل القارئ يغوص ويتأمل ويستوعب ذالك المجتمع البدوي، فاستخدم في سبيل ذلك اللغة البدوية الدارجة حينا، مطعمة بالأمثال والحكم والأشعار، فأنتج رائعته "مدن الملح" وجعل منها أجزاء متواشجة، رائعة البناء والأسلوب. فسهولة ويسر تناول ووضوح الفكرة التي بدأ مُنيف روايته بها، جعلت القارئ يندمج اندماجاً كلياً ليتتبع الاحداث بشغف. التركيب الفني كان بارعًا وجميلاً ومعجزة من معجزات الخيال، بحيث يتغلغل المؤلف في طوايا الشخصية ليجعل من كل ذلك شيئاً فنياً مؤثراً، فكأن أشخاص الكتاب يتحركون بيننا فعلاً، أحياء نسمع "سوالفهم" بين العامية والفصحى، نحفظ أمثالهم وحكمهم وأشعارهم.

# عن عوّامة أهداف سويف وعوّامات النيل

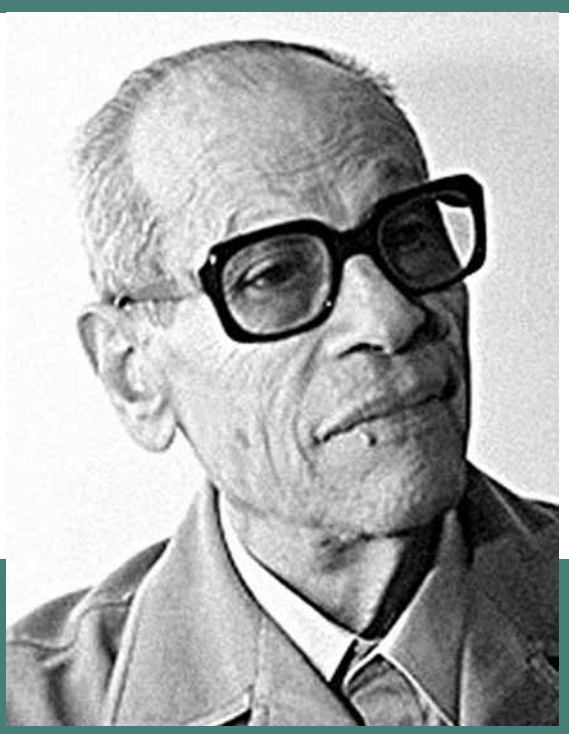

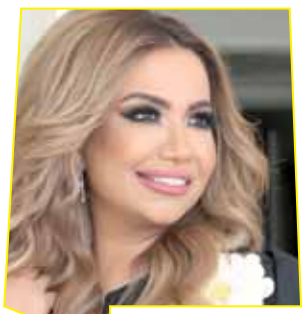

د.بروين حبيب

على أيام الملك فؤاد أرادت الملكة نازلي أن تشتري عوّامة الفنانة منيرة المهدية، لكن هذه الأخيرة رفضت. هذه إحدى روايات السيدة إخلاص التي تعيش في عوّامة على النيل، ومثلها مثل غيرها جاءها قرار بإخلاء المكان. تتساءل أين ستذهب هي وقططها وطيورها وقد شاخت ولا مكان يأويها. وقبل أن يعتصرنا الألم لأن مصير السيدة العجوز مجهول، تطلُّ الكاتبة أهداف سويف وهي تروي المصير نفسه الذي ينتظرها، آخذة بنا إلى جولة صغيرة في عوّامتها، حيث خصصت فيها ركنا لها للكتابة، وأركانا للأحفاد وأخرى للأصدقاء الذين يهربون من ضجيج القاهرة، إلى عوّامة أهداف الهادئة في لقاءات لذيذة لا تخلو من الأدب والشعر والفن.

على ضفاف النيل كانت العوّامات موضة القرن الماضي، وقيل إنها وجدت منذ العهد العثماني، لكنها زادت وازدهرت في النصف الأول من القرن الماضي. سكنها أثرياء مصر، ونجومها، وقد ذكرت العوّمات كثيراً في الأدب المصري في القرن العشرين، أشهرها ربما عوّامة نجيب محفوظ، وهي العوّامة التي تزوّج فيها وأنجب فيها ابنتيه، وألهمته روايته «ثرثرة فوق النّيل» التي كادت تقضي على مستقبله الأدبي وتغيّبه في السجون.

صدرت أول طبعة من رواية «ثرثرة فوق النيل» العام 1966، وكانت صفعة للنظام الناصري الحالم بالتغيير والذي رسم صورة أفلاطونية لمصر الجديدة. محفوظ المراقب للوضع الاجتماعي والسياسي والثقافي من على عوّامته خرج بملاحظات قاسية سجّلها روائياً، ولأن الرواية أو الأدب مرآة عاكسة لواقع الشعوب، لم يكن الأمر ليمرَّ مرور الكرام.

عاش نجيب محفوظ في عوامته تلك ربع قرن، وكانت حتما مكانا ملهما له، ويمكنني أن أتخيّل محنة قامة أدبية مثل أهداف سويف وهي تقتلع من عوّامتها الجميلة، فهل أدرك المعنيون حجم الإساءة المعنوية لكاتبة بحجمها وانعكاس ذلك على سمعة القاهرة ودورها الثقافي الذي يزداد انحسارا؟

تاريخ هذه العوّامات لا يتوقف عند من سكنوا فيها مثل بديعة مصابني، ونجيب الريحاني، ومنيرة المهدية، ومحمد عبد المطّلب، وتحية كاريوكا، وسامية جمال، والشاعر حافظ إبراهيم الذي سُمي بشاعر النيل لأنّه ولد في إحداها.

إن العوّامة مكان ذو أبعاد جمالية، هذا غير ما تمثّله لأصحابها، فهي المكان الآمن لهم للحياة والاستمرارية. وكان بالإمكان التعامل معها كإرث ثقافي، كما هو معمول به في بعض الدول التي تستثمر في بيوت الأدباء والفنانين كمتاحف تحقق مداخيل سنوية هائلة لخزائن الدولة.

سنة 1846 نشرت جورج صاند روايتها الشهيرة "بركة الشيطان" والغريب أنها تصف المكان على أنه بركة من بين آلاف البرك تحيط به تربة فقيرة مغطّاة بأوراق ميتة تنبعث منه رائحة حمضية غير جذّابة ومع ذلك فهي الوجهة الأكثر طلبا للسياح. ستة وثلاثون ألف زائر سنوي يقصد هذا المكان لرؤية بحيرة جورج صاند ومن ثم قصد بيتها الذي يبعد حوالي ثماني كيلومترات عن المكان. ينجذب هؤلاء إلى البركة وإلى الجدران التي شهدت ذكريات جميلة للقاءات صاند مع مشاهير زمنها مثل شوبان وديلاكروا وفلوبير.

صاند التي تنحدر من قرية نوهانت في إقليم أندر بفرنسا أُعتُبِرت رمزا من رموز المنطقة الثقافية، لهذا اشترت الدولة المنزِل العام 1952 وحافظت عليه وحوّلته لمتحف.

هذه الظّاهرة الجميلة والقوية للتعبئة السياحية تمارسها دول تعرف قيمة الثقافة، ولعلّ المملكة المتحدّة كانت السبّاقة لتكريس بعض القرى التي عاش فيها كتّاب وشعراء، مثل قرية هـاوورث التي عاشت فيها الأخوات برونتي (شارلوت وإيميلي وآن) غرب مقاطعة يوركشاير التي تجذب مئات الآلاف من السيّاح من جميع أنحاء العالم كل عام. بل إن الأزمة المادية التي تعرّض لها البيت بسبب جائحة كورونا سرعان ما تمّ حلُّها حين هبت عائلة الشاعر

ت. س. إليوت لإنقاذه بتقديم هبة مالية معتبرة ليظلّ مفتوحا للجمهور، ويذكر أن سبعين ألف زائر سنويا يترددون على البيت من كل العالم.

متحف برونتي (بيت القسيس) كما يطلق عليه، تمّ إدراجه في المرتبة الأولى في قائمة التراث الوطني الإنجليزي. وعمره اليوم 244 سنة. وقد كان بيتا للعائلة برونتي المكوّنة من الأب والأم وستة أطفال، والغريب أن المستنقعات القريبة من المكان كان لها تأثير عميق على كتابات الأخوات برونتي، وهي الأخرى تستهوي زوار المتحف.

في العالم العربي نادرة جدًّا هذه المبادرات التي تحافظ على الذّاكرة الثقافية للأمكنة، وإن كانت بعض الاستثناءات مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافة المسؤول ومستوى وعيه، فإنّ الكوارث التي حلّت بذاكرتنا الثقافية كان سببها دائما الإدارة الفاشلة لمسؤولين تكوّنوا كإداريين لا يختلفون عن موظفي القطاعات العامة الذين يفتقرون لثقافة حقيقية ورؤية جمالية للفضاء العام.

لقد قرأت الكثير مما كُتِب عن عوّامات النيل، وتأثرت بما قالته أهداف سويف، ولا أدري إن خطر ببالها أن تطلب دعم الكتّاب البريطانيين والعالميين الذين تعرفهم بحكم علاقاتها خلال مشوارها العلمي والأدبي ذي الأهمية العالية، لإبقاء عوّامتها قائمة مع عوّامات أخرى. لقد أردت أن أشارك أفكاري بصوت عال عسى أن نحفظ ذاكرتنا من التّلف، فتتحوّل عوّامة سويف إلى إقامة إبداعية دائمة لكتّاب العالم.

لنعتبر هذا الكلام نداء لدعم سويف والتّاريخ الذهبي لرموز الأدب المصري الذين صنعوا بصمته العالمية تماما مثل الأهرامات العظيمة وحضارة مصر الفرعونية التي قاومت كل العواصف التي هبت على ذاكرتها ولم تستطع اقتلاعها من جذورها.

صحيح أن العوّامة ليست بحجم الأهرامات، لكنها جزء كبير ومهم من الذاكرة الثقافية التي نعتز بها جميعا لأنها غذّت أذواقنا الجمالية وألهمت محفوظ العربي الوحيد الذي نال جائزة نوبل للآداب، وألهمت كثيرين لا نعرفهم جعلوا حياتنا أبهى بألحانهم، وأشعارهم، وأفلامهم، ومنحوا للقاهرة إسم "أم الدنيا" بجدارة.

لا أحد يزور مصر إلا وتكون له زيارة على الأقل لإحدى العوّامات مع أصدقاء مصريين يعتبرونها أماكن للسّمر واللقاءات الثقافية المميزة، وهي تختلف تماما عن لقاءات المؤتمرات والملتقيات المنظّمة في الفنادق والمطاعم الفخمة. وفي اعتقادي ما يبحث عنه السّائح القادم من أوروبا أو العالم العربي أو من أمريكا ليس رؤية الأهرامات فقط، وتناول الطعام في مطاعم مطلّة على النّيل، فما يملكه هذا السائح في بلده ربما أجمل بكثير مما نخطط لبنائه، لكنه لا يملك نجيب محفوظ، ولا حافظ إبراهيم، ولا عبد الحليم حافظ، حفظ الله ذكراهم جميعاً وكل صنع مجد مصر الفني والأدبي.

لقد كان المكان ولا يزال حاملاً لروح وبصمة ساكنيه، وهذا ما يميزه عن غيره من الأماكن. وإن كان الأدباء العرب لم يسجلوا أي موقف إيجابي تجاه الصرخة النّاعمة التي أطلقتها الأديبة العالمية أهداف سويف، بسبب انهزامية غُرست فيهم بعد تهميشهم المستمر منذ عقود من الزّمن فإن الأمر مختلف بالنّسبة لسويف، لأنها تختلف بمكاسبها الكبيرة التي حقّقتها من اللغة الإنجليزية التي تكتب بها ووزنها على المستوى العالمي ككاتبة.

إنّها خطوة قد تنقذ عوّامة سويف وعوّامات أخرى إن تحوّلت لإقامات إبداعية يحلم بها كُتّاب كثر في بلاد كيلوباترا ونفرتيتي، والشمس المشرقة على مدار السنة، والنيل بكل رونقه. فإن كانت مستنقعات نهر برين وشانتلوب في فرنسا تجذب مئات الآلاف من السياح بسبب روايات جورج صاند، فكيف بالنيل الساحر وعوّاماته وقد خلّدها نجيب محفوظ في أدبه، كاتبا فيها وعنها، إضافة إلى ما كتبه غيره، وما نتج من فن انبثق منها كفضاء مُلهم لا يتوقف عن سحر الأدباء وأهل الفن.

# قل لي مع من تضحك، سأقول لك من أنت

سوسن حسن

كان يوم العيد مليئاً بالضجر، وذلك لأني لم أعتد على قضائه داخل البيت دون الخروج وزيارة الأهل والأحبة. كان اليوم يمر ببطء حتى طلب مني أحد الأصدقاء طلبا غريباً لم أتوقعه، وهو تسجيل صوت ضحكتي وإرسالها له، ثم قال معللًا: «أحتاج صوت ضحك إمرأة لمشروع صوتي أنا في صدد الإعداد له». انتابني شعور بالخجل حينها لأنني لا أحب سماع صوتي، لا بل والأسوأ منه صوت ضحكي الذي أعتبره تافهاً. أخبرته بشعوري وطلبت منه البحث عن فتاة أخرى، لكنه أصرّ، فقمت بعدة محاولات تسجيل صوتية واكتشفت صعوبة هذه المهمة، إذ من السهل كثيراً تزييف الحزن بمجرد استذكار ذكرى حزينة، ومن الصعب تزييف الضحك حتى وإن استحضرنا ذكريات فرحة، فتلك تدفعنا إلى الابتسامة وليس بالضرورة إلى الضحك. من السهل كثيرا أن نحزن لأكثر الأسباب ابتذالاً، ومن الصعب الضحك على أي شيء.

لم أملك حلاً سوى قراءة نكتة في ذات الوقت الذي أسجل فيك صوت ضحكي، وحتى ذلك لم يكن سهلاً. أظن إننا نضحك أكثر مع الأشخاص وليس مع الكلمات. هناك من الأشخاص من يضحكنا بكلمة، بموقف، بنظرة، أشخاص تجمعنا معهم قواسم مشتركة مرتبطة بالبيئة والثقافة والاهتمامات، ومن الأشخاص من يطفئ أملنا بالضحك بمجرد حضوره.

بعد عدة محاولات، اقتنع صديقي بواحدة من التسجيلات واستعارها. رحت أفكر بعدها أكثر في الموضوع واكتشفت أن الضحك موضوع أدبي وسوسيولوجي استقطب فضول الكثير من الباحثين.

في علم السوسيولوجيا، تمّ استنتاج حقيقة مفادها أن الضحك يجمع ويفرق، بالإمكان أن أضحك معك الآن وأضحك عليك لاحقا؟، فأنقلب من صديق لعدو. هناك أنواع من الضحك مثل الضحك الاستهزائي، والضّحك المتكبر المغرور، و الضحك المتعلق بالمواقف، و ضحك السخرية. و في كل الحالات تتطلب صناعة الضحك موهبة وذكاءً حاذقاً، لكننا لا تستطيع الاستغناء عنه لأنه لغة مشتركة وعالمية. قد لا أفهم لغتك، و لكنني قد أضحك معك لقدرة الضحك على الاستغناء عن الكلمات.

نقول في الأدب بأن الضحك على عكس الابتسامة، لم يكن مرحباً به، لا بل وكان علامة من علامات قلة الحياء. لذلك لم نكن نقرأ ضحك النساء في الروايات القديمة. قد يصرح للرجل أن يضحك ، ولكن الضحك كان محرماً على المرأة.

تطوّرت الأمور وأصبح الضحك مسألة ثقافية تستلزم الإنتماء للثقافة ذاتها. نكتة الأجنبي مضحكة كثيراً بالنسبة له، لكن ما أن يحاول عربي ترجمتها، سيجدها الآخرون غير مضحكة. اثنان من نفس البلد قد يضحكان مع بعض ولوقت أطول إن تمت مقارنتهما مع اثنين من بلدين مختلفين.

الضحك ذوق مثل الموسيقى، كله ايقاع، ونحتاج إليه بقدر احتياجنا لهذا العنصر الأخير. في بلدان كثيرة ومن ضمنها البحرين، تمّ إنشاء نواد للضحك، من أجل أن يستنبط الإنسان الضحك لراحته وصحته النفسية والجسدية بالرغم من التعب ومتاعب الحياة. مع ذلك لا نستطيع أن نضحك ضحكاً هستيرياً لوحدنا، فلا يحلو الضحك إلا مع الأحبة والأصدقاء.

يقول الممثل الهزلي بيير دي بيرج: «نستطيع الضحك على أي شيء و لكن ليس مع أي أحد".

## رائعة ليف تولستوي: «الحرب والسلم»

# فلسفةٌ تأمليّة عن حركة التاريخ وصيرورة الأحداث

ما الحرب؟ لماذا الحرب؟ هل ثمة سبب منطقي لنشوء الحرب، ما الذي يدعو الى أن يقتل الآلاف في معركة ما، ناهيك عن أعداد لا تحصى من الخسائر البشرية والمادية والمعنوية للمهزوم والمنتصر معاً؟
هل من الأسباب المنطقية أن تنشأ حرب طاحنة بين نابليون و أليكسندر ويروح ضحيتها الملايين بسبب روح الغزو لدى الفرنسيين، وحب الوطن لدى الروس، أو بسبب الإهانة التي تعرض لها دوق أولدنبيرغ؟!

حسين الربيع

في نظر تولستوي أن أيّ سبب تبريري قد يضعه المؤرخون لنشوء الحروب فهو بالضرورة سبب غير منطقي، فهو يتساءل: «لماذا اقتتلَ ملايين البشر وقتل بعضهم بعضاً بينما يعلم كل واحد منهم منذ أن كان العالم عالماً أن هذا الإقتتال وهذا القتل شر، روحاً وجسماً!.

لا يجد تولستوي جواباً عن كل تلك التساؤلات التي بحثها بحثاً معمقاً و أرّقته وشغلت فكره، ليخلص بعد طول تأمل الى أن تلك الروح الدافعة للاقتتال قد تكون ناتجة عن الحتمية التاريخية، أو النزعات البشرية البدائية القابعة في لا وعي الانسان والتي تحدد الكثير من سلوكياته والتي تظهر على السطح من حين لآخر بأشكال مختلفة منها: غريزة النزوع للسيطرة والغضب وإخضاع الآخر، أو ربما لأن طبيعة البقاء تسير على هذا النحو.

يظهر من تلك الصراعات والتدافع ماهو أقوى وأقدر على التكيّف والتطور وينتج ثقافات جديدة من ذلك الديالكتيك التاريخي. يقول تولستوي في إحدى فقرات الكتاب المؤثرة:"لقد اقتتلوا لأن الإقتتال والقتل أمران لا مفرّ منهما، فكانوا حين يقتتلون ويقتلون إنما يخضعون لذلك القانون الأولي، القانون الذي يخضع له قانون الحيوان، القانون الذي يخضع له النحل حين يقتل بعضه بعضاً في الخريف، ويخضع له ذكور الحيوان حين يفني بعضهم بعضاً. ليس هناك جواب آخر نجيب به عن ذلك السؤال الرهيب".

قد يتعذر أن نضع تولستوي في خانة نصنفه فيها، فهو فيلسوف لأنه يقدّم من خلال رائعته هذه: "الحرب والسلم" فلسفةً تأملية عن حركة التاريخ وصيرورة الأحداث، وعن العلاقة بين الإرادة والضرورة، وهو أديب –من جهة أخرى– لأنه يقدّم فلسفته التاريخية هذه بأسلوب أدبي روائي. وهو حكيم لأنه خبَرَ تلك الفلسفة وتطبيقاتها على الأرض، وكانت حياته الشخصية مليئة بالتجارب والتبدلات، فمن بداياته التي كان فيها شاباً غِرّاً مستهتراً إلى مشاركته في بعض الحروب كجندي ثم ضابط نبيل، إلى استقالته وتحوّله لإداراة أملاكه الضخمة التي ورثها من عائلته، ثم في أواخر عمره باع كل ممتلكاته وحرر كل عبيده سالكاً طريق التصوف والتنسك والزهد، لتنتهي حياته في محطة قطار بعد أن قطع مسافات سيراً على قدميه في الصقيع، بلباسه الصوفي الخشن وعصاه البالية، نائياً عن كل مباهج الحياة. إن حياة كهذه متغيرة متبدلة باستمرار لا تنتج عن شخص عادي.

كما أن تولستوي شخص استثنائي عصيّ على التصنيف، ف "الحرب والسلم" هي أيضاً بدورها عصيّة على التصنيف، هي ليست رواية بالمعنى العام المتعارف ولا هي تأريخ لأحداث مضت على شاكلة كتب التاريخ ولا هي نسقاً أو منهجاً فلسفياً، إنما تجمع كل ما ذُكِر آنفاً. يقول تولستوي في مقدمة "الحرب والسلم" تعريفاً بالعمل وتقريبه من القارىء (الإقتباسات بترجمة سامي الدروبي): "ما كتاب الحرب والسلم؟ ليس برواية، ولا هو بقصيدة ولا سِجلّ لوقائع تاريخية. إن "الحرب والسلم" هو ما أراد المؤلّف وما استطاع أن يعبّر عنه في هذا الشكل الذي عبّر به عنه. إن تصريحاً كهذا التصريح عن عدم الإكتراث بالأشكال المتعارف، او المتفق، عليها في الإنتاج النثري يمكن أن يبدوا غروراً لو كان مقصوداً وإن لم يكن له نظير وأشباه. إن تاريخ الأدب الروسي منذ بوشكين حافل بأمثلة كثيرة على هذه المخالفات للأشكال المأخوذة عن أوروبا، بل إنه خالٍ من مثال واحد على نقيض ذلك. فمن كتاب غوغول "النفوس الميتة" الى كتاب دوستويفسكي "ذكريات من منزل الأموات" لا نقعُ في هذا العهد الحديث من عهد الأدب الروسي على أي أثر فني نثري ذي شأن يتقيد تقيداً تامّاً بشكل الرواية أو القصيدة أو القصة".

تعمدت أن أنقل هذا الإقتباس الطويل نوعاً ما ليلتفت القارئ الى أن "الحرب والسلم" ليست كمثيلاتها من الروايات خارج الأدب الروسي، إنما هي مزيجٌ مكثّف بين فلسفة التاريخ وسيرورة الحركة التاريخية وملاحم الحروب المحتدمة بين نابليون و أليكسندر منذ حرب 1805 و 1807 وانتهاءاً بالحرب الكبرى بينهما التي اشتعلت في العام 1812، ودخل بعدها نابليون بجيوشه الى موسكو للمرة الأولى وما لبث أن اسحب منها هارباً ليلاحقه الجيش الروسي إلى باريس في حركة ارتدادية، ولم يتوقف ألكسندر إلا بعد أن تفشى الفساد والفقر مادفع الى قيام ثورة شعبية ضده يقودها نخبة من نبلاء الطبقة الأرستقراطية في العام نفسه.

لازمتني هذه الرواية على مدى ثلاثة شهور عشت حياة شخوصها، استقراراها وتقلبها وموت بعضها، كان موت الأمير آندريه بولكونسكي مؤثراً جداً وكذلك حياته الزاخرة بالتأملات الوجودية. عشت معها أجواء السلم والعائلة و أجواء الحرب بكل تفاصيلها التي أبدع تولستوي في وصف أدق جزئياتها وصفاً مسهباً منقطع النظير، لعله أبلغ وأكثر دقة من وصف صحفي على نشرة الأخبار. عشت مع تولستوي أجواء الحرب التي مابرحت تشتعل في مناطقنا وهي ماتزال محتدمة في أماكن متعددة، والمصادفة أنني كنت أقرأ الرواية في فترةٍ تزامنت مع

اجتياح روسيا لأوكرانيا، وبدء حرب طاحنة أخرى قد تتصارع على أثرها الأقطاب الكبرى، على أن الفرق بين هذه الحرب والرواية أن روسيا كانت تتعرض للغزو من فرنسا واليوم مايحدث هو العكس روسيا هي من تلعب دور المهاجم الأوحد وربما تتقدم روسيا نحو مناطق أوروبية أخرى مايهدد بنشوب حرب كونية جديدة بأدوات أكثر تطوراً وفتكاً، لتعود التساؤلات الكبرى التي لم تغب إلا لتعود، وهو مايعبر عنه تولستوي في نص بليغ من نصوص الرواية: "كان لابد لملايين الرجال الذين فقدوا رشدهم وأضاعوا صوابهم وطرحوا كل العواطف الإنسانية أن يسيروا من الغرب إلى الشرق وأن يقتلوا أمثالهم من البشر كما سارت قبل بضعة قرون جماعات من الرجال، من الشرق الى الغرب ليقتلوا أيضاً أمثالهم هناك"

تحتوي "الحرب والسلم" على العديد من الشخصيات التي تصل، كما يقول النقّاد، إلى أكثر من 550 شخصية، وأنا واقعاً لم أعدّها، إنما كان تركيزي على الشخصيات المحورية المهمة والملهمة التي صاغها تولستوي من تجاربه الطويلة بالبشر ومن حكمته العالية، فمثلاً الأمير آندريه وناتاشا الشخصيتان الأكثر صفاءاً وشاعرية وعنفوان، والأميرة ماريا رمز العفة والصبر والإنعتاق، والكونت بطرس بيزوخوف بتجاربه العديدة وتقلباته بين الشكّ واليقين، وسعيه الحثيث نحو المعنى بعد أن أهدر جزءاً من حياتهم على الملذات والترف وهو يذكر ذلك في اعترافاته في أكثر من موضع. إن القارئ لهذه الشخصية وسيرة تولستوي يجد تقارباً كبيراً بينهما، وكأن تولستوي وضع نفسه في هذه الشخصية حتى تحسّ في بعض المواضع أنه يتحدث عن نفسه من خلال بطرس بل حتى شكل الشخصية في الوصف يشبه تولستوي إلى حد بعيد، من جسم بطرس الضخم إلى وجهه العريض وشعر رأسه القصير ولحيته الكثّة...

يتعمق تولستوي في تأملاته وتصوراته محاولاً فهم حركة التاريخ وسيرورة الزمن وصيرورة الأشياء والأحداث الكبرى التي تغيّر مابعدها عن ماقبلها تغييراً قد يكون جذرياً. ما الذي يحرك الحدث التاريخي؟ يتساءل، هل الرجال تصنع التاريخ، أم التاريخ يصنع الرجال؟ من الذي يُحرّك التاريخ الأحداث أم صانعيها؟ وصل تولستوي بعد بحثه المكثف في الكتب التاريخية ومتابعته لسير الأحداث الكبرى إلى نتيجة مفادها أننا إذا أردنا أن نفهم سير الأحداث وحركة التاريخ لابد أن نفهم وندرس أولاً وقبل كل شيء ماهيّة التاريخ. "ما التاريخ"؟، وهذا التساؤل المعمّق الى جانب تساؤل لماذا الحرب يسيران معاً في مسار "الحرب والسلم"، بأجزائها الأربعة، ويتداخلان مع أحداثها وشخصوها بصورة غير مباشرة في أغلب الأحيان وقد تتخذ بعض الفصول طابعاً تحليلياً لهما.

مايثير الدهشة حقيقةً أن الأحداث التاريخية الكبرى التي تحدث من تدافع البشر، تكرر نفسها باستمرار وبنفس

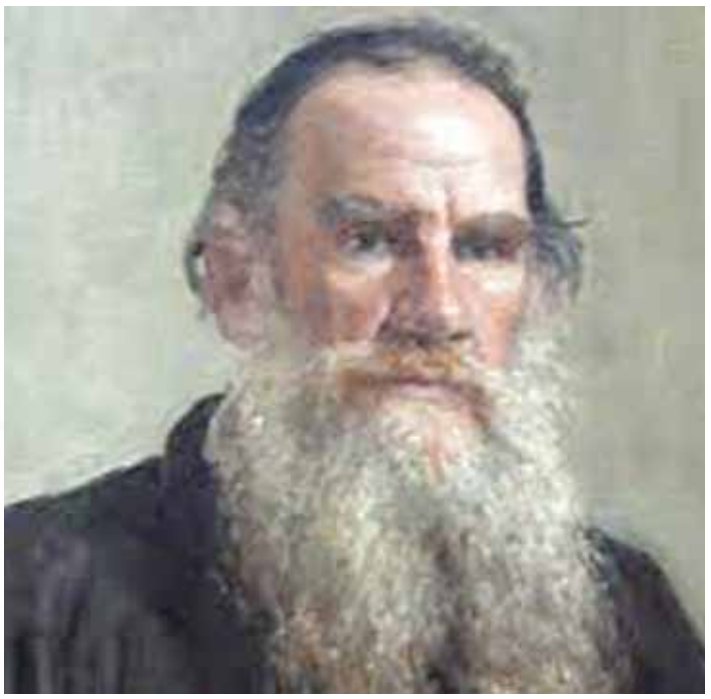

الأخطاء السابقة، وكأن الإنسان وهو الكائن الوحيد العاقل االذي لايتعلم من أخطائه فيما يتعلق بالجانب التاريخي ولعل هذا يذكرنا بمقولة هيغل التهكمية:"التاريخ يعلمنا أن الإنسان لا يتعلم شيئاً من التاريخ".

ويشدد ماركس على أنه لابد لنا من أن نستفيد من التاريخ حتى لا نقع فريسة التكرار والإستغلال: "الذي لا يعرف التاريخ محكوم عليه بتكراره"، بينما يحاول تولستوي تحليل التاريخ وحركته بإحالته إلى قوتين تحرك سير البشر والتاريخ معاً هما الضرورة والإرادة، وأنهما لابد أن يوجدا معاً وبنسب متفاوتة، وبالتالي تضمن وجود الإنسان وسيره في الزمكان. لو تصورنا حريّة مطلقة لأصبح الإنسان خارج الزمان إذن فهو منعدم الوجود، ولو تصورنا ضرورة مطلقة لخسر الإنسان كل ملكاته العقلية والجسمية وأصبح قلباً جامداً إذن فهو منعدم الوجود: "وهكذا فالفكرة التي تكونها عن الحرية والضرورة تنقص أو تزيد تدريجياً بحسب ما تصغر أو تكبر تبعياتها للأسباب التي نبحث بينها عن هذه المظاهر، إذن فـ"العقل يعبّر عن قوانين الضرورة، والشعور يعبّر عن جوهر الحرية...الحرية هي مانفحصه، والضرورة هي ما يُفحص، الحرية هي المحتوى والضرورة هي الشكل. وعندما نفصل بين هذين المصدرين للمعرفة ونسبة أحدهما الى الآخر كنسبة المحتوى الى المحتوى نتوصل الى مفاهيم ينفي بعضها بعضاً ثم أنها غير مفهومة، إنما نتوصل الى تصوّر لحياة الإنسان عندما نجمع بين هذين المصدرين"، على هذا النحو ممكن أن نفهم سير الأحداث التاريخية، فالجوانب التي نعرف أسبابها هي قوانين الضرورة أما التي نجهل مسبباتها ولا نعرفها هي مانسميه الحرية، لأن "الحرية بالنسبة الى التاريخ ما هي إلا التعبير عن البقية المجهولة مما نعرفه عن قوانين الحياة الإنسانية"

واجهتني بعض الصعوبة في الدخول في أجواء الرواية من الفصل الأول من الكتاب الأول الذي أعتقد أنه أصعب فصول الرواية، أسماء ومواصفات لشخصيات عديدة جداً، إذ تبدأ الرواية بحفلة عشاء أرستقراطية فخمة وتبدأ الشخيات بالحضور، جماعات وأفراداً، فيسهب تولستوي في وصف ورسم كل شيء من المكان واللبس والهيئات والإنطباعات وصفاً دقيقاً ثم تبدأ مناقشات العائلات حول قضية الحرب الوشيكة، لكن وما إن ندخل الفصل الثاني يتغير الوضع تماماً وتأخذ الرواية طابعها الملحمي.

أضع مراجعتي وقراءتي المتواضعة هذه ل"الحرب والسلمط، وأعرف أنه قد سبقني عددٌ لايحصى، قرأوا الحرب والسلم منذ صدورها مجزءةً في إحدى الصحف الروسية بداية من عام 1869، وبعد أن أجرى عليها تولستوي الكثير من التعديلات والإضافات الى أن وصلتنا بهذا الشكل وهي في نسختها العربية الموزعة على أربعة أجزاء تناوب على ترجمتها سامي الدروبي (التنوير ج1/ ج2) وصياح الجهيم (المدى ج3/ج4)، والترجمتان جيدتان- وكل قارئ قد قرأها وسيقرأها سيقدمها بحسب تصوراته الخاصة والزاوية التي يتناول منها العمل.

كثيرون قدّموا لهذا العمل الخالد مراجعات ومقالات بحسب تأملاتهم الخاصة المتعددة ودراستهم لها، وسيأتي آخرون يضيفون تحليلات جديدة يستخرجون من النص أشياءً ربما لم يلتفت لها السابقون بسبب تغير الأزمان والأمكنة وتعدد القراءات، مايضيف إلى الأعمال الأدبية من هذا النوع زخماً وخلقاً وانبعاثاً متجدداً باستمرار. يقول ألبيرتو مانغويل:"كل قارئ يوجد كي يضمن لكاتب معين قدراً متواضعاً من الخلود، القراءة بهذا المفهوم هي طقس انبعاث" الكاتب يبذل جهده في تأليف عمله والقارئ يبعث فيه الحياة ويمنحه صفة العظمة و الخلود.

# عن الكتب التي تحلقنا حولها

هاتفني الناقد فهد حسين قبل عدة أشهر، وأعلمني انه يعتزم إعداد بحث توثيقي عن المجالس الثقافية في البحرين، وقد اختار مجلسنا الذي سمع عنه وإن لم يحضره شخصياً، وقد تضمنت الاستمارة التي بعثها اسئلة عن بدايات المجلس ونوعية رواده وضيوفه والكتب والمناقشات التي طرحها، وهل ثمة وسائل اعلامية تناولته، وغيرها من الاسئلة التفصيلية، ولست أدري إلى أين وصل مشروعه لغاية اليوم، بيد أنني وجدتها فرصة مواتية للحديث عن هذا المجلس الذي أحببته وشغفت به وشكّل في فترة من الفترات أحد اجمل اوقاتي .

عصمت الموسوي

وكنت قبلها قد دوامت على حضور مجلس الناقد الأدبي أحمد المناعي الذي انطلق منذ الثمانينات، في بيته ووسط مكتبته العامرة واستمر هذا المجلس الاسبوعي لما يقارب الثلاثين عاماً، وقد تعرفت في هذا المجلس على نخبة من المثقفني والاكاديميين والضيوف العرب والأجانب الذين شكلوا زاداً معرفياً مهماً لي في مهنتي الصحفية (أجريت لقاءات صحفية مع الكثير منهم) ثم في مطلع عام 1992 اقدمت الشيخة مي الخليفة على إقامة مجلس ثقافي في منزلها بالرفاع وقد امتدّ لعدة سنوات واستضفته ذات مرة في بيتي.

ومن هذا اليوم اختمرت فكرة إقامة منتدى أو مجلس ثقافي شهري في بيتي، وكنت أقول للأصدقاء: إننا نلتقي باستمرار على موائد الطعام فلماذا لا نجعل أحد الكتب طبقنا الرئيس فنتحلق حوله ونناقش أفكاره ونشبع جوعنا الفكري والمعرفي؟. وهكذا انطلق المجلس عام 2007، وقد كانت البحرين في تلك الأعوام تعيش زمناً مزدهراً على مستوى الحريات والصحافة المتنوعة وانعكس ذلك على تقبل الفكرة والتشارك في رفدها، وكان المجلس حلقة أخرى ضمن سلسلة من التجمعات والمنتديات العديدة والمتنوعة العناوين والتي كانت تزخر بها البحرين في ذلك الوقت

وعلى المستوى الإجرائي فقد كنا نتفق عبر مجموعة صغيرة على استعراض كتاب ما ونرسل الدعوات للمشاركين قبل شهر كي يتسنى لهم الوقت لقراءته، ولا أنكر أن البداية انطلقت من جهد فردي، ثم سرعان ما اتسعت المشاركة وصار الأعضاء والعضوات يقترحون الكتب ويتطوعون لاستعراضها، وقد اتفقنا أن تكون هناك أولوية للكتاب البحريني وللمؤلفين من رواد المجلس باعتبار أن أهل الدار أحقّ من غيرهم، فكان البعض من الرواد ينتظر الفرصة للاحتفاء بأول انتاجهم بل وبتدشينها في هذا المجلس.

هل كان المجلس دافعًا للحماس وللاقدام على التأليف بالنسبة للبعض؟

أنا كنت أحد هؤلاء، والحق يقال إن ثمة امسيات كانت عامرة بالفرح وبباقات الورد وأطباق الطعام والكيك المزدان باغلفة الكتب الصادرة حديثا فبدت لي وللحضور وللمؤلفين كعيدٍ ثقافي لا يضاهى، ولعلني لا أنسى استعراض كتاب «ايها الفحم يا سيدي» لشاعرنا المبدع قاسم حداد عام 2014، اذ استعرض فيها تجربته الشعرية ومراحلها الفارقة والتفرغ للابداع والسفر في تجربة الفنان فان جوخ، وقد حضرت في هذه الليلة عائلة حداد باجمعها كما تلقى فيها لوحة تشكيلية مستوحاة من أعمال فان خوخ من الفنان عباس الموسوي تقديرا لتجربته الثرية، ومن الكتب المميزة التي لا تنسى ، تلك الكتب العالمية التي تحولت إلى أفلام ووثائقيات شهيرة ككتاب «فن الحرب» ل سن تزو ، ورواية «1984» ل جورج اورويل و«الفخ أو ماذا حدث لديمقرطيتنا"؟ ل آدم كيرتس ، ورواية «الحالة الغريبة لبنجامين بوتين» للمؤلف سكوت فيتزجرالد وغيرها من الكتب التي لا يتسع هذا المقال لذكرها.

وذات أمسية وكنوع من إضفاء مسحة من التغيير والحيوية والاختلاف، اخترنا الحديث عن أجمل وأفضل الكتب التي قرأها رواد المجلس، وكان لها تأثير كبير على مسارهم الثقافي والمهني وكان بعضها دافعا وملهما لهم لدخول حقل التأليف والكتابة .

ولم أجد حماسًا من محرري الصفحات الثقافية لتغطية هذه الفعاليات، ربما لازدحام البرامج السياسية في ذلك الوقت رغم الدعوات العديدة التي وجهتها لهم او ربما لانتفاء طابعها الرسمي أو المؤسساتي، إلا أنني وظفت تلك الأمسيات الزاخرة بالأفكار والآراء المختلفة والمتنوعة حول الكتب والروايات في العديد من مقالاتي التي كانت تنشر في صحيفة «الأيـام» ومجلة «كل الأسرة» الإماراتية ، كما قام أعضاء المجلس المشاركون في استعراض الكتب بنشر اوراقهم وملخصاتها على منصاتهم الإلكترونية العديدة .

في مايو عام 2018 استعرضت باسمة القصاب واحمد رضي رواية «ألمحيط الإنجليزي» للراحل فريد رمضان الذي غادرنا بعد عام ونصف من تلك الأمسية ، وقد احتفى الحضور عائلته واصدقائه وناشر روايته وعشاق ادبه بالراحل وبالرواية التي كانت آخر وأهم انجازاته الادبية .

كان للكتاب البحريني ورواده الأفضلية والأسبقية في استعراض كتبهم في هذا المجلس، كحسين المحروس، فضيلة الموسوي، عبدالنبي العكري، وداد كيكسو، فريد رمضان، قاسم حداد،عقيل الموسوي،عبدالحميد المحادين، د. عمر الشهابي، فوزية مطر ، د حسن مدن، نادر كاظم، بعد احداث الربيع العربي واكب المجلس التطورات السياسية، فحضرت الكتب والنقاشات المتعلقة بهذا الحدث الذي هزّ العالم العربي وانعكس على مجمل حياتنا، فكان أن التأم الحضور مجددا على مائدة كتاب الدكتور نادر كاظم «انقاذ الربيع العربي» ثم كتاب اخر هو "لماذا العرب ليسوا احرارا « ؟ للمؤلف مصطفى صفوان.

في ديسمبر عام 2019 حلّ وباء كورونا فتم حظر ومنع التجمعات واللقاءات وتوارى المجلس وانطفأت أنواره وتراجع الحماس للقاءات الواقعية على الارض خشية المرض، وتساءلنا هل نتوقف أم نبحث عن بديل لهذا النشاط الممتع في اللقاءات الافتراضية ووفق تقنية الزوم الالكترونية على سبيل المثال؟ وتبين لنا ان الكثيرين لم يستحسن الفكرة باعتبار أن المجلس كان ومنذ انطلاقه تجمعًا بشريًا ومناسبة للتلاقي والتفاعل والتواصل الانساني، وانه لا ضير من الانتظار او التعايش مع الجوائح المقبلة بأكبر قدر من الاحترازات الوقائية لضمان استمراريته في نفس المكان والزمان، ومنذ ثلاث سنوات وانا اتلقى من الاصدقاء ومن رواد المجلس الدائمين تحديدا – الذين تفرغ بعضهم للكتابة والتأليف خلال جائحة كورونا – اسئلة من قبيل متى يعود المجلس؟ ومتى تجيء قراءة كتابي ؟

واحة الفكر

# فرانز فانون: الخطأ والصواب

هشام عقيل

سيتعيّن علينا مناقشة أفكار فرانتس فانن من نواحٍ عدة، وبالتالي علينا أن نحدد مكامن الصواب والخَطأ فيها وإلى أيّ مدى يُمكننا التفكير في واقعنا العملي وفقاً لنظريته كما هي مطروحة في كتابه (معذبو الأرض).

من جهةٍ، في أساس الفكر الفانني جوهر ثوري يسعى إلى فهم الواقع الاستعماري، وما- بعد الاستعماري، للأبنية الاجتماعية الكولونيالية (أو تلك التي يسميها: مجتمعات متخلفة أو تابعة). سيكون علينا أن نقرأ، ونفهم، هذا الجوهر الثوري لفكرٍ لم يكتمل في تكوينه النظري، ولا الوصول إلى هدفه النظري كُلّياً. من أفكاره الصحيح التي نصادفها في كتابه (معذبو الأرض) هي الفكرة التي تقول إن ما تسمى بالبورجوازية الوطنية في المجتمعات المتحررة من الاستعمار غير قادرة، بطبيعتها، على قيادة تحررٍ وطني حقيقي بشكلٍ مستقل عن القوى الامبرياليةً الطاغية، وبالتالي بطلان الفكرة الشائعة أن البورجوازية الوطنية قادرة على قيادة أيّ أمةٍ متحررةٍ من الاستعمار نحو نموٍ مستقل. يعللّ فانن هذه الفكرة بالتشديد على عاملينً: الضعفً الاقتصادي لدى البورجوازية هذه، وطبيعتها السايكولوجية.

رغم أن الأسس النظرية التي يوفّرها فانن لهذين العاملين لا يكفيان، إلى حد أنهما لا يقومان على أفكارٍ علمية تامة، إلا أن الاستنتاج صحيح في مبدأه وفقاً للنظرية الكولونيالية. كما يطرح فانن، في مواضع عدة، زيف الوحدة الوطنية الأفريقية ما إذا طُرحتً من وجهة نظر البورجوازية الأفريقية، إذ سرعان ما تتحوّل الوحدة هذه، بعد التحرر من الاستعمار، إلى تشرذم طائفي، وديني، وعنصري بفعل عدم قدرة البورجوازية على قيادة وحدة وطنية حقيقية.

هكذا، الوحدة الوطنية الحقيقية، حسب رأي فانن، لا تتحقق إلا عبر ثورة اشتراكية توحّد الشعب بشكلٍ فعلي، ويستدل فانن بمثال الجزائر حيث شارك كُلّ الشعب في الإنتاج الوطني والبناء (وهو، فانن، شارك فيه شخصياً). كما أن مكامن صحة فكر فانن تكمن في اعتقاده بأن على النموذج الاشتراكي الذي على أمم أفريقيا أن تتبناه أن يكون خلّاقاً وابتكارياً، بشكلٍ مستقل عن ما تسمى في العادة "الكتلة الشرقية" أوً

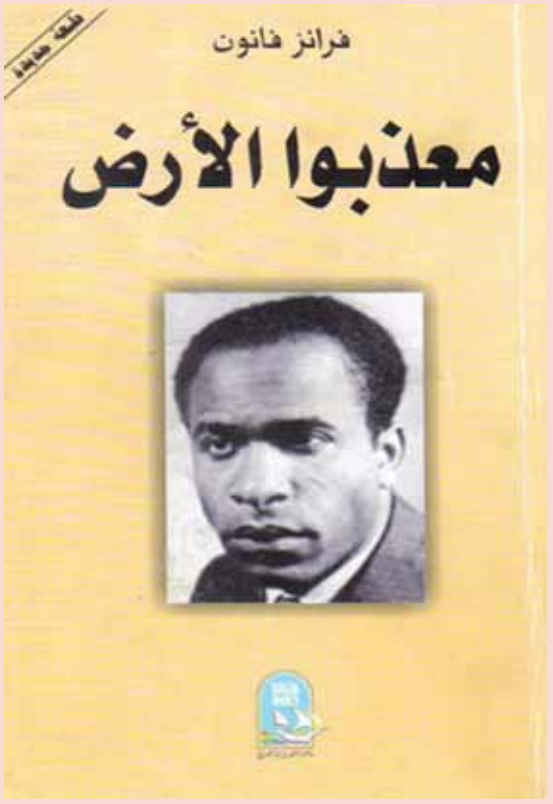


"الكتلة الاشتراكية"، أي (باختصار) بشكلٍ مستقل عن النموذج السوفيتي المزعوم للاشتراكية.

من جهةٍ أخرى، يختزن فكر فانن على عناصر غير علمية تحولً دون صيرورة النظرية الكولونيالية نًظرية علمية، أي تلعب دور العائق الابستمولوجي للقفزة العلمية هذه. مثلاً، في تشخيص فانن للبورجوازية الوطنية نسمعه يقول إن سايكولوجية البورجوازية هذه هي سايكولوجية تتّسم بالعقدة الدونية إزاء البورجوازية الامبريالية، وهذه السايكولوجية هي بحد ذاتها، بفعل موقعها الاقتصادي غير الإنتاجي، هي التي تدمغ العقلية البورجوازية التي تنعكس على الوضع الاجتماعية العام في المجتمعات المتحررة من الاستعمار. فنجد بورجوازيات هذه المجتمعات لا تدخل إلا في نشاطات وسيطية، وتجارية، وسياحية، وخدماتية عموماً، وذلك تلبية لرغبات البورجوازية الامبريالية. عند هذا الموضع، نجد خطئاً مزدوجاً: أولاً، يخلط فانن بين خطابين علميين: علم العمران (أو العلم العمراني التاريخي، الذي موضوعه هو: عمران الأنماط الإنتاجية) وعلم النفس (موضوعه هو: اللاوعي)، وفوق هذا نجده يقرّ بأسس النظرية السايكولوجية الآدلرية التي تخالف أهم مبادئ علم النفس الفرويدي، وذلك عبر وضع أولية للبيئة المحاطة على الغرائزِ الجنسية. لعلّ فانن وجد في فكرة مثل هذه شيئاً يلبي محاولته النظرية في فهم سايكولوجية الإنسان المقهور عبر الرجوع إلى بيئته الاجتماعية، ولكن انتهى به الأمر – أي فانن – بهذا الخلط الذي يتجاوز الحدود العلمية.

إن رجوع فانن لعلم النفس الآدلري يُشير إلى محاولة لفهم واقع الإنسان الأسود في تضاده مع البياض في واقعه الاجتماعي، ولهذا سيكون من المناسب أن نطلق على الفكر النفساني الفانني كفينومينولوجيا السواد (وارتباطه بهيغل هو واضح لمن قرأ فانن). هكذا، تتحوّل السايكولوجيا الفردية الآدلرية إلى سايكولوجيا عرقية، ولكننا لا نجد أيّ مكانٍ لليبيدو والغرائز الجنسية.

أما من الناحية الاقتصادية، فمن الواضح أن تشخيصه للبورجوازية الكولونيالية «الوطنية» كبورجوازية لا يُمكن لها أن تدخل في نطاق الإنتاج أبداً يتجاوز منطق توسّع وتطوّر رأس المال الكولونيالي، وبالتالي لا يضع أيّ دورٍ لخصوصية التمرحل في البنية الكولونيالية، التي يُمكن لها أن تنتقل من التبعية في مرحلة البحث عن المواد الخام وتصديرها (أي مرحلة خضوع العمل شكلياً لرأس المال الكولونيالي) إلى التبعية في مرحلة التصنيع التبعي (أي مرحلة خضوع العمل فعلياً لرأس المال الكولونيالي).

هكذا يخلو هذا الفكر بشكلٍ إجمالي من أيّ طابع بنيوي يُمكنه أن يحدد طبيعةً البنية الكولونياليةً بشكلٍ نظري تجريدي، أي يُشكّل تاريخ التحرر من الاستعمار الحد التاريخي لنظرية فانن؛ فلا نجد أيّ مكانٍ لتنظريات حول الوظيفة الكولونيالية، والقيمة الزائدة الكولونيالية، وإعادة الإنتاج المتوسعة الكولونيالية والتراكم-النسبي، إلخ.

# التقدمي

التقدمي العدد 177 ـ أغسطس 2022 السنة عشرون SDPA

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

عبدالصمد الليث

# «يـــا نخلـــة وفـــا»

(1)
يا (يعكَوب)
يا نجم النضالي اللي يضوّي دروب
مدعرك مِن (أوال) يلف على العالم
ويأشّر يسارك صوب
شمسك للفكر عنوان
رفيقك والأخو الإنسان
يا نخلة وفا
جاها العطش والضيم نوب ونوب
بعت العمر للديرة
اسمك للخلود الحُر أبد مكتوب

(2)
بيدِ الماءِ آخذاً والرّفاقِ
حيثُ سقيا الظّماءِ عبرَ السّواقي
يصطلي بالهمومِ فكراً ونفساً
فالأسى في حاضرِ الاشتياقِ
عشقَ الشّمسَ والطّريقُ عسيرٌ
فمضى عاماً معَ العشّاقِ
صارَ (يعقوبُ)رنّةً مِن نَشيدٍ
وسيبقى حيّاً بسِفْرِ انطلاقِ

(3)
نعى الإيثارُ (يعقوبَ الجناحي)
فزادَ الفقدُ في عمقِ الجراحِ
هو (ابنُ أوال) إذ صقلتْ (جتوبٌ)
وصاغت فكرَةٌ في خير ساحِ
فجابَ مجامرَ المنفي رفيقاً
وخاضَ غمارَ غاشيةِ البطاحِ
سيفتخرُ الثّرى وتطيبُ ذكرى
ويخلدُ عبرَ تأريخِ الصّباحِ


المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي



ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com